جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

جمالية التصوير البياني في دلالة التعبير بأعضاء الجسد في القرآن الكريم

The beauty of graphic depiction in the meaning of the expression "organs of the body" in the Holy Qur'an

إعداد

د. انتصار محمود حسن سالم

أستاذ مساعد قسم البلاغة والنقد – كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالزقازيق جامعة الأزهر

(العدد الثالث والأربعون)
(الإصدار الثالث أغسطس)
(الجزء الأول (١٤٤٦هـ /٢٠٢٤م)

الترقيم الدولي للمجلة (ISSN) 2536- 9083
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ٢٠٢٤/٦٢٧١م

جمالية التصوير البياني في دلالة التعبير بأعضاء الجسد في القرآن الكريم

انتصار محمود حسن سالم

قسم البلاغة والنقد ، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالزقازيق، جامعة الأزهر.

البريد الإلكتروني: *salementsar8@gmail.com*

الملخص

يهدف البحث للكشف عن بعض الألفاظ القرآنية ،بوصفها أشكالا للمعاني في تفردها بمكانة محورية، في سياق القرآن الكريم، إذ اللفظة القرآنية لها شرفها وقدسيتها، ومدلولها ، مما يجعلها ذات صبغة عظيمة للمعاني الجليلة ، التي تحملها والتي وُجدت من أجلها، ولا يمكن لغيرها أن تؤدى معناها، لذلك تتفاعل الألفاظ بعضها مع بعض في سياق متنوع ، لإنتاج معان ودلالات مقصودة، توحي بقوة المفردة وفخامتها، ولا تتشابه مع غيرها من المعاني ذات المفردات الخاصة ، والتي تتسم بقرب المعنى ، لذا كان التعبير بدلالة "أعضاء الجسد في سياق القرآن الكريم" له مدلول معين وهادف ، ولمعنى دلالي مقصود، أشار له السياق القرآني ، من خلال الإشارة بهذه الأعضاء في سياق القرآن الحكيم، الذي يضع اللفظة والمعنى في سياقها الملائم والمناسب لها، مما يدل على أن اللفظة القرآنية لها مكانتها الثابتة أينما وجدت ، وحيثما كانت، ولا يمكن أن تُعطى أية معنى، غير الذي وُجدت من أجله. وقد تبين من خلال البحث أن التعبير بدلالة "أعضاء الجسد في أي القرآن الكريم"، له مسميات ذات دلالة وخصوصية مقصودة، ولكل اسم من هذه المسميات موقعه ومكانته، وخصائصه، التي تميزه عن غيره حسب السياق والمقام الذي ورد فيه. ولمّا كان لكل لفظة في القرآن الكريم خصوصية وُجدت من أجلها، إذ ربما نجد لفظتين اتفقتا في اللفظ ولكن وجودهما في موضعين مختلفين ، يلفت الانتباه والنظر، لحمله معنى آخر يناسب السياق والحال، والمقام، وربما يكون استعمال لفظتين مختلفتين في نصين متشابهين، يعود لحكمة ومعنى ، ودلالة، لا يمكن إدراكها إلا بعد طول تمعن وتفكر.

الكلمات المفتاحية : جمالية ، التصوير البياني ، دلالة أعضاء الجسد ، القرآن الكريم.

The beauty of graphic depiction in the meaning of the expression “organs of the body” in the Holy Qur’an

Victory of Mahmoud Hassan Salem
Department of Rhetoric and Criticism College of Islamic and Arab Studies for Girls in Zagazig AlAzhar University.

Email*: salementsar8@gmail.com*

Abstract:

The research aims to reveal some Qur’anic words, as forms of meanings, in their uniqueness and pivotal position, in the context of the Holy Qur’an, as the Qur’anic word has its honor, sanctity, and meaning, which makes it have a great character for the sublime meanings that it carries and for which it was created, and no other word can perform it. Its meaning, so words interact with each other in a diverse context, to produce intended meanings and connotations that suggest the strength and majesty of the word, and are not similar to other meanings The same special vocabulary, which is characterized by close meaning, so the expression “organs of the body in the context of the Holy Qur’an” had a specific and purposeful meaning, and an intended semantic meaning, which the Qur’anic context indicated, by referring to these organs in the context of the Wise Qur’an, which places the word and meaning in Its context is appropriate and suitable for it, which indicates that the Qur’anic word has its fixed status wherever it is found and wherever it is, and it cannot be given any meaning other than the one for which it was found. It has been shown through research that the expression “organs of the body in verses in the Holy Qur’an” has names with meaning and intended specificity, and each of these names has its location, status, and characteristics, which distinguish it from others according to the context and position in which it is mentioned And since every word in the Holy Qur’an has a specificity for which it was created, as we may find two words that agree in pronunciation, but their presence in two different places, it draws attention and attention, because it carries another meaning that suits the context, situation, and position, and perhaps the use of two different words in two similar texts is due to wisdom and meaning. Its significance cannot be understood except after careful consideration and contemplation.

Keywords*: aesthetics graphic photography body parts the Holy Quran.*

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، وخاتم النبيين والمرسلين سيدنا "محمد" صلى الله عليه وسلم **وبعد** ،،،،

إن سياق القرآن الكريم وخطاب الله –عز وجل للناس ،بتذكيرهم بنعمه عليهم، التي لاتعد ولا تحصى، فقد ميّزهم الله بنعم كثيرة ، وفضلّهم على غيرهم بهذه النعم، فجاء تعبير السياق القرآني عن هذه النعم والآلاء ، وكان مستخدما لأساليب وفنون متنوعة، ومختلفة، في سياق التعبير عنها، لإيصال وإيضاح المعاني المقصودة ، وهذا نوع من أنواع التذكير بالنعم، والتشويق إليها، والتنويع في أسلوب الخطاب لجذب ولفت الانتباه.

فأسلوب السياق القرآني الحكيم يتسم بعدة طرق وأساليب في التعبير عن المعاني المقصودة ، والتي يريد السياق إيصالها لذهن المتلقي ، إما عن طريق لفظ صريح وتركيب واضح ، وهذا يعتبر "تواصل لفظي "مباشر، وتارة أخرى يعبر عن المعنى المقصود، بطريق آخر غير طريق اللفظ والعبارة المباشرة ، وهو طريق "الإيحاء والإيماء والإشارة" ، وهذا ما عالجناه في هذا البحث المتواضع.

فقد أشار البحث إلى جمالية التصوير البياني في التعبير بدلالة " أعضاء الجسد في القرآن الكريم "من خلال إيصال معان كثيرة، وإشارات لطيفة ، وانطباعات مختلفة ، تصل لذهن وعقل المتلقي، وتوصل للهدف من التعبير، بأسلوب يتسم بالإيجاز البليغ ، أو الإطناب المعجز، وهذا يسمى بالتواصل غير اللفظي (غير المباشر).

فالقرآن الكريم وما اشتمل عليه من ألفاظ مناسبة ومعان دقيقة ، ونسق معجز، قد اهتم اهتماما كبيرا بهذا الجانب أيضا " الإيماء والإيحاء ، والإشارة" ، بهدف إيصال المعنى عن طريق التعبير بأعضاء الجسد المختلفة ، فهَدَفَ إلى إيصال المعنى للمتلقي، عن طريق تعبير بـ" وجه، أو عين ، أو يد ،أو لسان، أو قلب، أو رجل،..... أو غيرها ، من أجل الإشارة لدلالات ومعان كثيرة، ومتنوعة و مختلفة، تناسب السياق والمقام، وقرائن الأحوال.

ويُعد هذا اللون من الخطاب (التواصل غير المباشر) ، وسيلة من وسائل إعجاز

القرآن الكريم، وإظهارا لبلاغته المتناهية ، كما يُعد تنوعا في أسلوبه المعجز، مما يعطي لذهن المتلقي المعنى متسما، بأسلوب الإقناع والإمتاع، ناهيك عن الجمال والبهاء ، والرونق، في تناسق آياته، عندما يحتوى موضع الآية على ألوان البيان وفنونه من "تشبيه واستعارة، ومجاز، وكناية"، فنراه يعبر عن المعاني الوفيرة، ولأن هذا البحث من الموضوعات المهمة، التي ظهرت في سياق النظم القرآني ، فقد آثرت اختيار هذا الموضوع ،اهتماما منّا للبحث في آي القرآن الكريم، عن وجوه إعجازه في التعبير بأعضاء الجسد، وما أشارت إليه، والبحث عن مدى جمالية أسلوبه، وتفرده في ذلك ، وتفننه في اختيار اللفظ المعبر عن المعنى المقصود، بأسلوب يُلفت نظر المتلقي ويجذب انتباهه؛ إذ اتبع السياق أكثر من أسلوب ،وأكثر من طريق متنوع ومختلف ، فجاء هذا البحث المتواضع موسوما بعنوان : (جمالية التصوير البياني في التعبير بدلالة أعضاء الجسد في القرآن الكريم).

وقد اشتمل هذا البحث على مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة، وفهرس للمصادر والمراجع.

أما **المقدمة**: فقد تحدثت فيها عن أهمية الموضوع، وسبب اختياره، والخطة الواردة فيه.

والتمهيد: تحدثت فيه معنى لفظة (دلالة ، وعضو، وجسد، وهدف التعبير بأعضاء الجسد في السياق القرآني).

والمبحث الأول: بعنوان: جمالية التصوير البياني في دلالة التعبير بـ (الوجه والعين).

والمبحث الثاني: بعنوان: جمالية التصوير البياني في دلالة التعبير بـ (الرأس واللسان).

والمبحث الثالث: بعنوان: جمالية التصوير البياني في دلالة التعبير بـ (اليد و الأصابع).

والمبحث الرابع: بعنوان: جمالية التصوير البياني في دلالة التعبير بـ (القلب والأرجل).

والمبحث الخامس: بعنوان: جمالية التصوير البياني في دلالة التعبير بـ(الأعضاء المختلفة).

أما **الخاتمة**: فقد ذكرت فيها النتائج التي توصل إليها البحث ، ثم فهرس المصادر والمراجع.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

التمهيد

عند التأمل في عنوان هذا البحث نجد أنه يتكون من كلمات وألفاظ ،تدل في معناها، ودلالتها على معنى مقصود وأداء هادف ، إذ من خلال التعرض للفظة "الدلالة" في تعريفها اللغوي نجد أنها : "مصدر "دلَّ" ، "يدل"،" دلالة" بفتح الدال – وهو أفصح، ورُوى بكسر الدال والفتح ،والدلولة، والدليلى.

أما تعريف "الدلالة" في المعنى الاصطلاحي فهي: كون الشيء بحالة يلزم من العلم به، العلم بشيء آخر، فالشيء الأول هو:"الدال، والشيء الثاني هو :المدلول، سواء كان هذا اللزوم عقليا ،أو عرفيا دائما، أو غيره ، وسواء أكان كليا أو جزئيا."[١]

وهذا هو أصح التعريفات التي قيلت؛ لأنه يدل على أن هناك تلازما بين الدال والمدلول، بحيث إذا فُهم الدال فُهم المدلول.

وفي دلالة لفظ "عضو" يقول ابن منظور:" العُضْوُ والعِضْوُ هو: كل عَظْمْ وافرٍ بلحمه ،وجمعهما أعضاء"[٢].

ويقول في تعريف الجسد:" الجسد هو: جسم الإنسان."[٣]

وبالتأمل فيما سبق يتبين لنا : أن هذا العنوان يعطي معانى ودلالات ، ذات

---

(١) ينظر:المهذب في علم أصول الفقه المقارن ، (تحرير لمسائله ودراستها دراسة نظرية تطبيقية)،أ/ محمد عبد الكريم على بن محمد النملة،١٠٦٠/٣، ط١، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م، نشر مكتبة الرشد، الرياض.

(٢) لسان العرب، ابن منظور ، ٦٨/١٥، مادة (عضا) ، نشر دار صادر ، بيروت ،ط٣، ١٤١٤هـ- ١٩٥٦م.

(٣) نفسه، ١٢٠/٣، مادة (جسد).

مفاهيم مختلفة ومتنوعة، عن طريق التعبير بـ ألوان التصوير البياني المختلفة من "تشبيه واستعارة ، ومجاز، وكناية" لآيات جاء فيها التعبير عن أعضاء جسد الإنسان في القرآن الكريم ؛ إذ تعتبر هذه الفنون وسيلة من وسائل التعبير البياني ، التي لها قدرة على إيصال المعنى للمتلقي، بأدق تعبير، وأبلغ تصوير، كما تعمل على تفاعل المتلقي مع الحدث الذي أراد السياق القرآني إيصاله له بطريقة ووسيلة أوجز، وأبلغ تصوير ، كما تعمل على الإقناع والإمتاع النفسيين والعقليين، الذي يحققهما السياق لدى السامعين بهذه الصور.

فالتعبير بـ "أعضاء الجسد" في سياق النص القرآني ، اتبع فيه سياق القرآن أسلوبا من الأساليب التي توحي بالمعنى المقصود ، بأداء غير مباشر ، (اتصال غير لفظي)، في مواضع لا يستلزم فيها استخدام تواصل لفظي مباشر، مما يجعل سياق النظم القرآني ، يتميز بأن كل لفظة فيه، تُوضع في موضعها المناسب والملائم لها ، والذي لا يصح أن يُوضع فيه غيرها.

وهذا دليل واضح على دقة نظمه،وقوة معانيه، وبلاغة فواصله ، وغزارة تشبيهاته، ومجازاته، وحكمة آياته.

كما أن التعبير بـ" أعضاء الجسد" في سياق النص القرآني، قد ورد في سياقات ومواضع مختلفة، وكان مطابقا للسياق والحال الذي ورد فيه، والغرض الذي سِيقت من أجله الآية الكريمة.

فكان لأسلوب التصوير البياني فيه ، قدرة على رسم مشهد التعبير بأسلوب جمالي، ودلالي مُثير؛ إذ تحدث العظة والعبرة ،كما يدعو إلى التفكر والتدبر في آي القرآن الكريم ،والغرض الذي جيء به في التعبير عن الصورة البيانية، التي أرادها وقصدها السياق ، فكان ذلك أكثر تأثيرا في عقول وأسماع المخاطبين.

مدخل

إن سياق تعبير النظم القرآني في تعبيره عن المعاني المقصودة ، لكل من (الوجه والعين)، إنما مراده إشارة ودلالة السياق، التعبير عن صورة معينة أو حالة محددة ، يريد السياق إيصالها لذهن المتلقي، بطريق الإيحاء والإشارة إلى موقف أو حال ، يستهدف التصوير فيها بصورة حركية ، محسوسة ،تنبض بالحياة من أجل الدلالة والبرهنة على ذلك التصوير المعجز، مما يشير إلى أهمية المعاني الجليلة، التي اتسم بها السياق القرآني، عندما عبّر بالألفاظ المتضمنة لها، فكشف لنا عن جمال وتفنن ،وإعجاز بلاغي، كان له أثر كبير في التأثير على المتلقي ، من حيث الصورة والمعنى، ووجه ارتباطهما، وكأن هذه الصورة مشاهدة أمام المتلقي بطريق التجسيم والتشخيص ، فيحصل الإقناع والامتاع المطلوب.

المبحث الأول

جمالية التصوير البياني في التعبير بدلالة " الوجه والعين" في القرآن الكريم

أولا: الوجه

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾ (البقرة: ١١٢)

إذ وردت الآية الكريمة في سياق الحديث عن الرد على زعم اليهود والنصارى ،في الآية قبلها.

﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾﴾" (البقرة: ١١١)

بأن دخول الجنة إلا يكون إلا لليهود والنصارى ، فحسب دون ثمة أية حجة أو دليل منهم على ذلك ،فجاءت الآية "بلى من أسلم وجهه لله...." إخبار وتصريح من الله عز وجل بأن دخول الجنة، إنما يكون لمن قصد الله تعالى بقلبه وروحه ،وعقله، وأعلن انقياده لطاعة الله جلّ علاه واتبع أوامره ونواهيه، بشرط أن تكون نيته خالصة لوجه الله تعالى دون غيره، وقد ذكر مثلها في "آيات أُخر"(١).

فكان تعبير النص القرآني بـ" الوجه " في قوله: (أسلم وجهه لله) ، مناسبا للسياق من خلال التعبير عن معنى إخلاص العبد لربه وتوحيده بالعبادة ،عن طريق الكناية المصوّرة للمعنى المقصود.

يقول القشيري في لطائف الإشارات: " أسلم وجهه أي: أخلص لله قصده،

---

(١) النساء/٢٥ ، ولقمان/٢٢ .

وأفرد لله وجهه، وطهُر عن الشوائب عقله."[١]

فالتعبير بلفظ (الوجه) في الآية الكريمة دلالة وكناية عن قصد العبد، وإخلاص نيته، وعبادته لله؛ إذ ثمة علاقة ورابطة قوية، بين النية والوجه، فالنية هي المحرك الأساسي، لتوجهات الإنسان، وأفكاره، وطريق سلوكه في الحياة، فإذا كان توجه العبد لطاعة الله وعبادته ، والإيمان به، دلّ ذلك على سلامة قصده ونيته ، وإذا كان توجه العبد للكفر والإشراك، والضلال، دلّ ذلك على فساد قصده ونيته. والكناية أليق بالمقام لمناسبتها للمعنى المقصود في النص.

يقول أ /عبد السلام الراغب:

" فالتصوير بـ" الوجه" عن الذات فيه حث على التوجه إلى الله ، والإقبال عليه، والتطلع إلى ما عند الله، وهذه المعاني يناسبها (الوجه) دون غيره؛ لأنه يحتوى على الأجزاء الهامة في الإنسان".[٢]

لذا كان التعبير بـ"الوجه" في الآية له دلالة قوية، في تعبيره عمّا في القلب من إخلاص أو فساد؛ لذا حَسُن التعبير بالوجه في المقام المناسب والملائم له ، مما يدل على أهمية التعبير به، كعضو هام وبارز في جسد الإنسان ؛ للدلالة على سلامة النية والقصد، أو فسادهما.

مما كان مناسبا ختم الآية بقوله:(فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) مناسبا مع بدءها، إذ المسلم الذي يقصد نيته لله بالإيمان، والعبادة، خالصة له سبحانه ، فله الأجر والثواب عند ربه، ولا خوف عليه ولا حزن، فهو يستحق

---

(١) ينظر: لطائف الإشارات/ القشيرى، ت : إبراهيم بسيونى،ج ١ ،ص (١١٤)، دار الكتب العلمية، بيروت،٢٠٠٧م.

(٢) ينظر: وظيفة الصورة الفنية فى القرآن ،أ/ عبد السلام أحمد الراغب ،ج١، ص (١١٠) ، نشر فصلت للدراسات والترجمة، والنشر، حلب، ط أولى ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

الثواب الجزيل، بهذه التوكيدات والتقديم، والعطف، وإسمية الجملة.

٢- قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ١١٥ ﴾ (البقرة: ١١٥)

إذ وردت الآية الكريمة في سياق الحديث عن اختصاص الله عز وجل، وملكه للمشرق، والمغرب، وما فيهما من مخلوقات، واختصاصه - تعالى – بأمور العباد كلها ؛ لذا كان مناسبا أن يعبر السياق القرآني بقوله : "فثم وجه الله " .

يقول البقاعي:" وجه الله" أي: جهته التي وجهكم إليها أو مكان استقباله والتوجه إليه ،وما يستقبلكم من جلاله وجماله، ويتوجه إليكم من بره وأفضاله ، فإن نسبة جميع الأماكن والجهات في الإبداع والقرب، والبعد، وغير ذلك إليه وحده .... ، والمراد: تولى القلب لوجه الله ، حين تقع محاذاة وجه الموجه الظاهر، للجهة المضافة لله."(١)

ولذلك أخبر أن من "سعة فضله مبثوثا في واسع ملكه ،أن الله (واسع)أي: محيط بما لا تدركه الأوهام ،فلا يقع شيء في ملكه ؛ إذ أصل الوسع :تباعد الأطراف والحدود. (عليم) فلا يخفى عليه فعل فاعل أين ما كان وكيف ما كان، فهو يعطي المتوجه إليه على قدر نيته، بحسب بلوغ إحاطته وشمول علمه، وقدرته ...،ولا تقع السعة إلا مع إحاطة العلم والقدرة، وكمال الحلم وإفاضة الخير، والنعمة، لمقتضى الرحمة."(٣)

فهو كناية ودلالة عن قدرة الله ، وعلمه الواسع بالمخلوقات، وقدرته على تدبير شؤونهم، مما دلّ على تقرَير وتأكيد سعة علم الله المحيط بكل صغيرة وكبيرة، والذي

---

(١) ينظر: نظم الدرر، البقاعى، ج١٢٣/٢، دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة.

(٣) نفسه ، ج ٢ / ١٢٤

لا يحده بصر ، بدليل تأكيد الآية بـ (إن) ، واسمية الجملة، وتعريف لفظ الجلالة (الله) بالعلمية ، للتعظيم والتفخيم.

٣- ويقول تعالى في التعبير عن "الوجه":

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ (البقرة١٤٤)

وردت الآية الكريمة في سياق الحديث عن إظهار مدى رغبة النبي –ﷺ وتشوقه، وتطلعه لنزول الوحى عليه، عندما غاب عليه فترة من الوقت، فنزلت الآية لتخبر النبي ﷺ ، بخبر محبب لقلبه، تسليه له وتسرية عنه، وهو تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة.

فمن حُسن خُلق وأدب النبي ﷺ أنه لم يتوجه إليه بكثرة الطلب، فعبر السياق عن هذا المعنى بـ (تقلب وجهك) ؛ لأن الله يعلم ما في صدره وقلبه من رغبة ، وحاجة مُلحة ،تطيب قلبه وتسرّي عنه، فعبّر عنه بـ "الوجه " في قوله :(تقلب وجهك في السماء، فوَلّ وجهك شطر المسجد الحرام، فوَلّوا وجوهكم شطره)، دلالة على أنه ﷺ ، ظل يقلّب وجهه في السماء، متشوقا لنزول الوحى عليه ،مخبرا إياه بنبأ تحويل القبلة، علّه يُثلج صدره وقلبه.

وجاء السياق مؤكدا المعنى بـ (قد)، ومعبرا بالفعل (نرى) مرادا به الرؤية العلمية، أي: نحن نعلم ما في قلبك يا محمد ،ونعلم ما تتشوق إليه نفسك.

والتعبير بـ المضارع (تقلب)؛ لاستحضار صورة تشوق النبي ﷺ، لنزول الوحى عليه آنا بعد آن ، ووقتا بعد آخر.

فالتعبير بـ "تقلب الوجه" كناية ودلالة ، واضحة على تشوقه ﷺ ،لتحويل القبلة مصوّرا ذلك ، بطريق الكناية المصورة للمعنى ، بالدليل والبرهان .

يقول البيضاوي:" (قد نرى): ربما نرى تقلب وجهك في السماء، أي: تردد وجهك

في جهة السماء، تطلعا للوحي، وكان رسول الله – ﷺ يقع في روعه، ويتوقع من ربه ،أن يحوله إلى الكعبة؛ لأنها قبلة أبيه إبراهيم، وأقدم القبلتين، ودعا العرب إلى الإيمان به، ولمخالفة اليهود، وذلك يدل على كمال أدبه، حيث انتظر ولم يسأل."[1]

وفي صفوة التفاسير:" إن دلالة التعبير بـ "تقلب الوجه" في قوله:" قد نرى تقلب وجهك في السماء" أي: كثيرا ما رأينا تردد بصرك يا محمد جهة السماء ،تشويقا لتحويل القبلة."[2] والذي نراه :أن تقلب وجه النبي ﷺ للسماء ،كان حقيقة فعلها – ﷺ يقينا وتسليما منه ،بأن الله تعالى لن يضيعه ، فحدث له ما كان يتطلع إليه ويرجوه من ربه. وهذا أليق بالمقام.

٤– و في التعبير عن "الوجوه في الآخرة"

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ (آل عمران: ١٠٦ – ١٠٧)

إذ وردت الآيتان في سياق الحديث عن أثر عمل الإنسان ،الذي يظهر على وجهه يوم القيامة، فاسوداد الوجوه دلالة وكناية ،عن علمهم بالكفر والظلم، والعناد بعد علمهم بالحق والإيمان، ولكنهم أصروا على كفرهم وعاندوا، فظهر أثر ذلك على الوجوه من حزن وغم، إذ ظهر السواد على وجوههم، فاستحقوا تذوق العذاب بسبب كفرهم وظلمهم.

---

(١) ينظر: تفسير البيضاوى ،ج١ص (٤٢٠)،م:ناصر الدين عبد الله الشيرازى،ت: محمد عبد الرحمن المرعشلى، نشر دار إحياء التراث العربى،بيروت،ط أولى،١٤١٨هـ.

(٢) ينظر: صفوة التفاسير ، محمد على الصابونى ،ج١،ص (٦١) ، دار الصابونى،ط١، ١٤١٠هـ، ١٩٨٩م،القاهرة.

وعلى الجانب الآخر المضاد لهذه الوجوه ،عطف الوجوه المبيضة، أو (ابيضاض الوجوه) ،وهي التي آمنت بالله عز وجل –وبرسوله، وبكل ما أُنُزل عليه، واعتصموا بدينهم، وتمسكوا به دون اختلاف، أو تفريق، فانعكس ذلك على قلوبهم ونفوسهم ،فتراها نقية ، مطمئنة ،مستقرة، يشعرون فيها براحة النفس والضمير، فيظهر ذلك أثره –أيضا على الوجوه يوم القيامة، فنراها مضيئة مبيضة، لما قدموه من أعمال صالحة في الدنيا، فـ "اسوداد الوجوه" كناية عن الكفر والعناد، والظلم، والكراهية للحق، التي اتصف بها فريق الكافرين في الدنيا، و"ابيضاض الوجوه" كناية عن الإيمان والطهر، والنقاء، والصلاح ،وهو الذي اتصف به فريق المؤمنين في الدنيا، فظهر ذلك أثره على الوجوه في الآخرة ،كما ظهر التضاد بين الفريقين في الآية، كنوع من أنواع التأكيد في المعنى ، إذ الضد يُظهر حسنه الضد.

والذي نراه أنه يجوز: أن تكون وجوه الكفرة مسودة بالفعل، ظاهرة للعيان بهذا السواد ،ووجوه المؤمنين مبيضة واضحة لون بياضها، حتى يُعرف كل فريق بوجهه، وحتى يُنبئ عن مصير كل منهما. ففيه من التوبيخ للأول والتنعيم للثاني، لذا جاء التعبير بجزاء الكافرين (فذوقوا العذاب) بالاستعارة لتذوقهم العذاب، وجزاء المؤمنين(ففي رحمة الله) بالمجاز المرسل، دلالة على حلولهم في الجنة وشتان بينهما في المصير. و في قوله :(فذوقوا العذاب) لفريق الكافرين ، تصوير استعاري ،عبّر عنه بالإذاقة، للتشخيص والتجسيم؛ لأن العذاب يُذاق كما يُذاق الطعام والشراب.

يقول د/وهبه الزحيلى:

"ثم أوضح الله تعالى مصير الفريقين..... أما الذين اسودت وجوههم ، بسبب تفرقهم واختلافهم، فيوبخهم تعالى ويؤنبهم ،بقوله: " أكفرتم بـ" محمد" ﷺ بعد إيمانكم به ، فقد كنتم على علم ببعثته، ولديكم أوصافه والبشارة به ، ولكن كفرتم به حسدا وحقدا، فكان جزاؤكم أن تذوقوا العذاب بكفركم، وأما الذين ابيضت وجوههم باتحاد الكلمة ،

وعدم التفرق في الدين، فهم خالدون في رحمة الله، أي: ماكثون في الجنة أبدا، لا يبغون عنها حولا."[1]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾ (لقمان: ٢٢)

أي: ومن يتوجه إلى الله بقلبه ووجهه، ويفوّض إليه جميع أمره ،وهو محسن في عمله، فقد تعلق بأقوى الأسباب التي توصله إلى رضا الله سبحانه وإليه – تعالى مصير الأمور كلها.

إذ شبه السياق القرآني من اتجه إلى الله تعالى بقلبه مع الإحسان في عمله ، بمن أراد الصعود إلى قمة جبل، فتمسك بأوثق حبل، فالمشبه والمشبه به هيئة مركبة، أما الأول: فقد ركب من الذات المسلمة ذاتها مع الاتجاه إلى الله – تعالى والإحسان في عملها، وتفويض كل أمورها إليه تعالى ، وأما الثاني: فقد ركب من الذات المستمسكة مع الصعود إلى الجبل ، فقمّته ،ثم التمسك بأوثق حبله (تشبيه مركب) ، معقول بمحسوس ولم تذكر فيه أداة التشبيه ، ولا وجه الشبه ، فهو من التشبيه البليغ، ووجه الشبه :الهيئة الحاصلة من الشعور بالأمن والطمأنينة ،والسكينة ،عندما يتوجه العبد لربه ، بقلبه مع الإحسان في عمله.

فالتعبير "يسلم وجهه إلى الله" كناية عن تفويض العبد أمره لله، مع العمل الصالح ،والإحسان لنفسه ،عن طريق الكناية المصورة للمعنى في النص، والتعبير الكنائي مناسب للمقام والمعنى المقصود، إذ ليس المراد التوجه بـ (الوجه) العضو البارز في الإنسان.

---

(١) ينظر : التفسير المنير فى العقيدة والشريعة، والمنهج ، د/وهبه الزحيلى،ج٤، ص(٣٤) ، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط٢، ١٤١٨هـ.

كما أشار التشبيه في الآية إلى أن الطريق الوحيد الموصل إلى الأمن، من السقوط في مهاوي الضلال ،أو التزلزل هو أن يفوّض كل إنسان أمره إلى الله، عاملا بأحكامه مع الاخلاص ، وحسن النية، فأفاد التشبيه أن الشرط للأمن من الوقوع في المهالك هو العمل الصالح، وإخلاص النية ،لأن الإحسان هو: العمل والإخلاص في العبادة.

كما أن تشبيه الذهاب إلى طريق الإسلام بالصعود على الطريق الجبلي؛ لأن استمساكه بأوثق عروة يُوحي بأنه على طريق صعب، شاق، يقتضي غاية الاحتياط ، فكما أن الطريق الجبلي، الذي يحتاج فيه صاحبه إلى التمسك بأوثق عروة طريق، ذو أخطار كثيرة، فكذا في السير على طريق الإسلام ،توجد صعاب من قبل الشيطان ،فلابد أن يحتاط العبد المؤمن في السير على هذا الطريق. والتشبيه أفاد تقريب صورة المعنى في النص .

يقول الزمخشري: "مثلت حال المتوكل بحال من أراد أن يتدلى من شاهق، فاحتاط لنفسه ، بأن استمسك بأوثق عروة من حبل متين، مأمون انقطاعه."[١]

والسين والتاء في الفعل (استمسك) للتأكيد؛ لأنه لا معنى لطلب التمسك بعد كونه في الإسلام، فهما "للتأكيد والمبالغة"[٢] ، كما أن التشبيه قد وضع المخاطب أمام صورة حسية، وكأنه ينظر إليها، فسيتقصي كل الأجزاء التي يشتمل عليها المعنى بهذه الصورة الحسية ، فنحن أمام معان كثيرة ، وهي صورة المسلم الذي يسير على طريق الإسلام وهو محاط من كل جانب ، فالنفس تدعوه إلى هواها، والشيطان يدعوه

---

(١) ينظر: الكشاف، الزمخشرى،(٧٢٧)،ت: أ/عبد الرازق المهدى، نشر دار إحياء التراث العربى، بيروت.

(٢) نفسه ، (٧٢٨) .

إلى طريقه والمجلس السيء لا يدعه يسير على صراط مستقيم، ولكن ننظر أن في يده الحبل الموصل إلى الله، فيتأكد أنه سيصل إلى هدفه بدون أية خطر، فكل هذه المعاني في الآية الكريمة، عبر عنها التشبيه التمثيلي، فقدّم المعنى في صورة حسية مشاهدة للتقرير والتوكيد ،وكأنه ماثل أمام عين المتلقي.

٦ وفي تعبير السياق القرآني عن "الوجوه التي تشبه قطع الليل المظلم"

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ (يونس: ٢٧)

إذ وردت الآية الكريمة في سياق الحديث عن أصحاب السيئات، وقد وصفهم السياق بأن جزاؤهم ، السيئة بمثلها وتعلو وجوههم ذلة، ومهانة، وسواد الذي هو كقطع الليل المظلم في شدة سواده، من خلال استخدام صورتا التشبيه والكناية المصورة للمعنى، ثم أشار لمصيرهم، أنهم من أصحاب النار خالدين فيها.

فظهور السواد على وجه الكافر ، الذي كقطع الليل المظلم، يعكس لنا صورة ارتجاف قلبه، خوفا من العقاب والعذاب الشديد الذي ينتظره، بسبب ما قدّمه في الدنيا من ذنوب ،ومعاص، وآثام، ففيه كناية عن صفة الخوف والرهبة من مصيره.

وفي الآية تشبيه بـ"كأن" حيث شبه السياق القرآني، الكفار يوم القيامة ،وقد لحقتهم ذلة ومهانة، فظهرت وجوههم مسودة ،كقطع الليل المظلم الحالك السواد، فوصف وجوههم بالسواد دلالة وكناية عن تصوير خوفهم من العذاب المنتظر، بسبب ذنوبهم وسيئاتهم ،التي فعلوها في الدنيا.

ويجوز : أن يكون سوادا حقيقيا ؛ تنبيها من السياق بمعرفة أصحاب السيئات بهذا اللون الملائم لعملهم. لذلك أحسن ابن عاشور حين ربط بين المشاعر الداخلية للكافر، وبين ظهور أثرها على ملامح وجهه، فيقول:" والقتر: لون هو غبرة إلى

السواد، ويقال له: قترة، والقترة هي : لون يغشي جلدة الوجه من شدة البؤس والشقاء، والخوف، وهو من آثار تهيج الكبد من ارتجاف الفؤاد خوفا وتوقعا".[١] إذ "الذلة " مثل "القتر" في موضع آخر.

فتشبيه السياق القرآني لسواد وجه الكافر يوم القيامة، بقطع الليل المظلم، واستخدامه أداة التشبيه (كأن) التي تدل قوة الشبه بين الطرفين، من أجل التعبير عن تصوير رجفة ورهبة قلب الكافر يوم القيامة، وخوفه من العذاب الشديد المنتظر له، فصور ذلتهم ومهانتهم ، بقطع الليل المظلم، فالتشبيه جاء في الآية لتصوير المعنى الدقيق بصورة حسية ، مبالغة في تصوير سواد وجوه الكفار، بدليل تشبيههم بقطع الليل المظلم ،الحالك السواد، إمعانا في تصوير خوفهم، وذلتهم ومهانتهم ، وتحقيرهم، لذا كان تعبير السياق بـ (أغشيت وجوههم قطعا من الليل) أنسب بالمقام، و بالوصف المناسب لحالهم .

٧ -قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾(الزمر: ٦٠)

إذ وردت الآية الكريمة في سياق الحديث ،عن ظهور أثر نسبة الكذب على الله – تعالى من الشرك به ونسبة الولد له، وظهور أثره على وجه المكذبين يوم القيامة، بأن تظهر وجوههم مسودة.

يقول صاحب التفسير المنير:

" كذبوا على الله" : الولد والشريك إليه، "وجوههم مسودة ":لما ينالهم من الشدة، ويعتريهم من الذل والحسرة، (مثوى) : مقام أو مأوى، للمتكبرين عن الإيمان

---

(١) ينظر :التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ، ج ١١،ص (١٤٧) ، دار سحنون للنشر والتوزيع ، تونس، ١٩٩٧م.

والطاعة"[1]، فلون الوجه من شأنه أن يصبح علامة واضحة تميز الكافر من المؤمن يوم القيامة، فالبياض والنضرة، والبهجة، والسرور من ملامح وجوه المؤمنين ، والسواد والكآبة، والحزن ،والمذلة، من ملامح وجوه الكافرين، والعصاة .

لذا كان تعبير السياق القرآني بـ "الوجوه المسودة" كناية ودلالة، و إشارة للحزن والذلة ،والمهانة التي ظهرت على وجوه الكفار يوم القيامة، بسبب كذبهم على الله وكفرهم به، فكان لهم سوء المصير في جهنم بطريق الكناية المصورة للمعنوي بصورة حسية ؛ تنكيلا بهم وتحقيرا لهم.

ويجوز: أن يكون سوادا حقيقيا ،حتى يُعرف بلون الوجوه أصحابها ؛إمعانا في التحقير والتنفير منهم.

يقول صاحب التحرير والتنوير:" فيجوز: أن يكون اسوداد الوجوه حقيقة ،جعله الله علامة لهم ، وجعل بقية الناس بخلافهم ،وقد جعل الله اسوداد الوجوه يوم القيامة ،علامة على سوء المصير، كما جعل بياضها ،علامة على حسن المصير"[2].

٨ – وفي التعبير عن "اسوداد الوجه"

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝٥٨﴾ (النحل: ٥٨)

إذ وردت الآية الكريمة في سياق الحديث عن طمع وأنانية المشركين، وسوء حكمهم، إذ جعلوا لله تعالى الإناث ، ونسبوا لأنفسهم الذكور، فأراد الله تعالى أن يبين لهم سوء حكمهم في نسبتهم لله ما يكرهون ،ويقول في موضع آخر:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝١٧﴾ "(الزخرف: ١٧)

---

(١) ينظر: التفسير المنير، د/ وهبة الزحيلى ،ج ٢٤، ص (٤٢).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير ، الطاهر بن عاشور، ج ٢٤، ص (٤٩).

ففي الآيتين: نجد أن الكافر عندما يُخبر بولادة الأنثى، يحزن حزنا شديدا، ويغتم، ويشعر بالألم النفسي، والضيق والكرب، والخزي، ومن شدة حزنه يختفي عن أعين الناس ، وهو في كرب شديد ، شعور داخلي، عبر عنه السياق بظهور أثره على وجهه حزينا، مغتما ، مسودا من شدة خزيه وكربه، فكان تعبير السياق القرآني عن حاله عند ولادة الأنثى له بـ (وجهه مسودا) كناية ودلالة قوية على تأثير الحزن والغم، والخزي الذي يصيب وجه الكافر، مما يجعله يختفي عن أعين الناس، حتى لا يروا سواد وجهه بصورة الكناية.

كما نلاحظ التعبير بالفعل (ظل) في الموضعين ،الدال على الاستمرار في الحزن والضيق ، والكرب.

فالكناية صوّرت المعنى، وأشارت إليه بإيجاز بديع، من خلال التعبير بلفظ (وجهه)، ولونه (مسودا)؛ إذ فيه إشارة لتوبيخهم ، وتسفيههم، على هذا الفعل الشنيع الصادر منهم، عن طريق الكناية المصورة، للوجه بسواده. والتصوير الكنائي أليق بالمقام ،لمناسبته للمعنى المقصود؛ لأن الحزن والضيق يظهر أثرهما على الوجه. كما أن التعبير بـ"مسودا" اسم فاعل ، فيه دلالة على ثبوته واستمراره على الوصف بالسواد.

يقول صاحب تفسير الخازن:" " ظل وجهه مسودا" يعنى: متغيرا من الغم والحزن ،والغيظ والكراهية التي حصلت له عند هذه البشارة، والمعنى: أن هذا المشرك لا يرضى بالبنت الأنثى، أن تُنسب إليه، فكيف يرضى أن ينسبها إلى الله تعالى، ففيه تبكيت لهم، وتوبيخ."[١]

---

(١) ينظر: تفسير الخازن، م/علاء الدين بن عمر الشيحى، ج٣ /٨٢، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط١، ١٤١٥هـ.

٩ – وفي تعبير السياق القرآني عن "الوجوه المساءة "

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَاۚ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرًا ٧ ﴾ الإسراء: ٧)

إذ وردت الآية الكريمة في سياق الحديث عن بيان أن الجزاء من جنس العمل، فحال بني إسرائيل أنهم مفسدون في الأرض وارتكابهم لقتل ، وتذبيح، ونهب لأموال، فتأتي العقوبة من الله ،جزاءً على إفسادهم ، فيسلط عليهم ما يحقّرهم ويهينهم، ويُدخل الحزن والألم على قلوبهم ، فكان من أثر هذا الحزن والألم ، والذلة والمهانة، التي تسري في قلوبهم ،أن يظهر ذلك على وجوههم، إذ الوجه يظهر عليه آثار الهزيمة من ذل ومهانة، وقهر، وكآبة، فكان التعبير بـ "الوجوه المساءة" في النص القرآني له أثر بالغ في الكشف عن حال بنى إسرائيل، عند وقوع العذاب عليهم، بتصوير وجوههم، ووصفها بهذا الوصف المهين، الذي هو دلالة وكناية عن تصوير ذلتهم ومهانتهم في الآخرة ، أن ظهرت وجوههم يعلوها السوء، وهو الشيء القبيح المهين لصاحبه.

وفيه تضاد بين (أحسنتم) ،و(ليسئوا)، إذ "اللام" تفيد أنهم سبب في لحوق الإساءة لوجوههم، بسبب إفسادهم في الأرض.

ويجوز: أن يكون مجازا مرسلا ، علاقته السببية، باعتبار أن حزنهم وقهرهم ، ومذلتهم، ومهانتهم، بسبب ما اقترفوه من قتل ،وتذبيح ،وغيره، فهذا يدل على هزيمتهم القوية وانكسارهم المهين ، فظهر ذلك أثره على الوجوه ، إذ وصف الوجوه بـ "المساءة "، لمناسبته للحال والسياق عن طريق التصوير المجازي في النص.

يقول الكرمانى:

قوله تعالى :" ليسئوا وجوهكم " :" يقال: ساءه، يسوؤه :أحزنه ، والمعنى:

ليُدخلوا عليكم الحزن بما يفعلون من قتلكم وسبيكم، وعُدّيت "المساءة "إلى " الوجوه" أي: والمراد بها أصحابها ، لما يبدو فيها من أثر الحزن."[١]

أما الرازي فيبيّن علاقة المشاعر النفسية المرتبطة بظهورها على الوجه ، يقول:

" يقال : ساءه، يسوءه، أي: أحزنه، وإنما عزا "الإساءة" إلى "الوجوه"؛ لأن آثار الأعراض النفسية الحاصلة في القلب ، إنما تظهر على الوجه، فإن حصل الفرح في القلب ، ظهرت النضرة والإشراق، والإسفار في الوجه، وإن حصل الحزن والخوف في القلب ، ظهر الكلوح والغيرة، والسواد في الوجه، فلهذا السبب عزيت الإساءة إلى الوجوه في هذه الآية، ونظير هذا المعنى كثير في القرآن."[٢] وهذا مناسب للمعنى الحاصل في الآية الكريمة؛ لتوافقه مع سبب النزول .

١٠- وفي تعبير السياق عن "الوجوه الخاشعة الخاضعة"

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ وَقَدۡ خَابَ مَنۡ حَمَلَ ظُلۡمٗا ﴿١١١﴾ ﴾ (طه : ١١١)

إذ وردت الآية الكريمة في سياق الحديث عن أهوال يوم القيامة ، وما يحدث فيه من رهبة ومخاوف وترقب من انتظار للحساب في مشهد رهيب، يكتنفه حالة من السكون والهدوء، والخضوع، والخشوع، فلا تسمع إلا أصوات خفية ؛ نظرا لانشغال الناس بمصيرهم، إما إلى جنة أو إلى نار.

---

(١) ينظر : مفاتيح الأغانى فى القرآءات والمعانى، الكرمانى ،ج١، ص(٢٤٥)، ت: عبد الكريم مصطفى مدلج ،ج١، نشر دار ابن حزم،ط١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب ، الرازى،ج١، ص (٢٧٧٨) ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط ١،١٤٢١ هـ.

وفي تعبير السياق بقوله: (وعنت الوجوه) كناية ودلالة ،وإشارة ، لتصوير الناس وهم في موقف الحساب، إذ تظهر على وجوههم علامات وآثار الخوف ،والرهبة، وتحقيق الخيبة والخسارة، لكل من ظلم نفسه، بارتكاب الذنوب والمعاصي والآثام في الدنيا.

إذ جاء تعريف (الوجوه) بـ"أل"ليفيد العموم ، فيشمل المؤمن والكافر ، و التعبير بجملة "وعنت الوجوه للحي القيوم " إجمال أعقبه تفصيل في قوله : (وقد خاب من حمل ظلما ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما) ، وكأن وجوه الناس جميعا ،من مؤمن وكافر في هذا الموقف، يعلوها الخوف والرهبة، والمهابة، وهو ما عبّر عنه السياق بـ" عنت".

ويجوز: أن يكون التعبير بـ" الوجوه" ،مجازا مرسلا، علاقته الجزئية، إذعبر بالجزء (الوجوه)، وأراد الكل (الجسد) كله، إذ أكثر ما تظهر الرهبة والذلة على وجوه الناس، لذا عبر بها، فهي للرائي تبدو خاشعة، خاضعة، ذليلة لا أحد يتكلم، ولا يشفع لغيره إلا بإذن الرحمن.

فهناك علاقة ظاهرة واضحة بين "الوجوه" ،وما يظهر عليها من أثر الخوف والرهبة ،في موقف الجلال والهيبة.

يقول القرطبي: " وكنّى عن الناس بـ "الوجوه " ؛ لأن آثار الذل إنما تتبين في الوجه.[1]"

(١) ينظر: تفسير القرطبى، أبو عبد الله بن فرج الأنصارى القرطبى، ج١١، ص (٢٤٩) ، ت: أحمد البردونى ،وابراهيم أطفيش، نشر دار الكتب المصرية ،القاهرة.

أما صاحب أضواء البيان فيقول:" وظاهر القرآن يدل على أن المراد الذل والخضوع لله، يوم القيامة؛ لأن السياق في يوم القيامة ، وكل الخلائق تظهر عليهم في ذلك اليوم ، علامات الذل والخضوع لله جل وعلا"(١)

فتعبير السياق القرآني بـ"الوجوه" بأسلوب الكناية المصوّرة ، إذ الكناية أعطت تصويرا حسيا للوجوه الخاضعة، الذليلة ، فعبر السياق عنها بـ "عنت"، إذ الوجه يظهر عليه علامات ما يدور بخلجات النفس ،وما تشعر به من خوف ورهبة ، وخشية ،مما يدل على أن التصوير بالكناية لهذا المعنى المقصود، جاء في موضعه المناسب له ،حيث اكتمل المعنى بالصورة الكنائية المعبرة، وهذا أليق بالمقام للمعنى المناسب فيه.

يقول صاحب زهرة التفاسير: " الوجوه المراد بها: الذوات كلها، فالوجه يعبر به عن الذوات ؛لأن به المواجهة".(٢)

فيجوز : أن يكون التعبير بـ "الوجوه"، مجازا مرسلا، علاقته الجزئية ، للمبالغة في تشكيل الصورة وإيصالها للمتلقي، بهذا التجسيم والتشخيص الواضح في النص.

١١- وفي تعبير السياق القرآني عن الوجه بـ" الانقلاب"

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١١﴾ ﴾ (الحج: ١١)

(١) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطى، ج٤، ص (١٠١) ، نشر دار الفكر للطباعة والنشر ،والتوزيع ،بيروت، لبنان،١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

(٢) ينظر: زهرة التفاسير، الشيخ/ محمود بن أحمد بن مصطفى ،ج٩، ص (٤٧٩١) ط دار الفكر العربى.

إذ وردت الآية الكريمة في سياق الحديث عن بيان صنف من الناس، اتصفوا بضعف عقيدتهم، وتزعزع إيمانهم ، فهؤلاء الصنف تهزهم الشدائد والمصائب ،فإذا أصابهم خيرا، عاشوا في رغد من العيش، واطمأنت قلوبهم ،فآمنوا بالله ،وعبدوه حق عبادته، وإن أصابتهم فتنة من ضيق عيش، أو مرض، أو نقص من أموال ، أو أنفس ، أو ثمرات ، أو غيرها، تبدلت أحوالهم، فارتدوا عن دينهم ،وتزعزعت عقيدتهم، فكفروا بالله ورسوله، وهم (المرتدون).

فتصوير السياق القرآني لحال هؤلاء المرتدين، و تشبيههم بصورة من يقف على طرف جبل، إذ تنتابه حالة من القلق والاضطراب ، فإذا أصابته ريح خفيفة سرعان ما خرّ ساقطا على وجهه، فكذلك صورة المنافق يعيش في شك وقلق، واضطراب، عندما يصيبه ضُر أو مرض أو غيره، فيرتد عن دينه ، إذ ليس لديه عقيدة راسخة وإيمان قوي.

فتعبير السياق بـ "الانقلاب على الوجه"، كناية ودلالة، وإشارة إلى ضعف عقيدة المرتد، وتزعزع إيمانه، واضطرابه، وسرعة ارتداده عن الحق والإيمان، لذا جاءت الكناية مصورة لهذا المعنى الدقيق، بقوله : (انقلب على وجهه)، إذعبر بأسلوب الكناية المصورة للتعبير عن المعنى المقصود، بالتشخيص والتجسيم الحاصل، في تصوير المرتد عن دينه ، بصورة المنقلب على وجهه ،وهي صورة قبيحة محسوسة ،مرئية، ويجوز: أن يكون تشبيها تمثيليا، من أجل التنفير من شأن هؤلاء المنافقين ، وتقبيح صورتهم وهيئتهم. والتشبيه التمثيلي أليق بالمقام ، لبلاغة الصورة بالتشبيه الحاصل من أجل ضرب المثل، لتصوير شناعتهم في رجوعهم عن الحق والإيمان.

يقول صاحب زهرة التفاسير:" وعبر سبحانه عن المرتد ، بقوله : (انقلب على وجهه)، وهذا التعبير فيه تشبيه لحال المرتد عن دينه، بحال من انقلب فوق وجهه ،فصار رأسه في أسفله، ورجلاه في أعلاه أي: تصويره بصورة شوهاء، ساء منظرها

وقبُحت حقيقتها."[١]

إذن فتعبير السياق يجوز: أن يكون تشبيها لصورة المرتد عن الدين ، بصورة المنقلب فوق وجهه، (تشبيه تمثيلي) صورة حسية ،جسدية، متحركة، أدت لتحريك المعنى في ذهن المتلقي، بطريقة قوية تُنبئ عن تنفير وتقبيح، وتحقير السياق لكل من يتصف بهذه الصورة القبيحة ، لذا عبر السياق بها ، بصورة التشبيه التمثيلي ،المصوّر لهذه الحالة المنفرة القبيحة ، فكان مصيره في ختام الآية ، (الخسران المبين) ؛ إذ يدل على خسارته الواضحة في الدنيا والآخرة.

١٣- و في التعبير عن "الوجوه المنكرة"

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ﴾ " (الحج: ٧٢)

إذ وردت الآية الكريمة في سياق الحديث عن "الوجوه المنكرة" ، لبيان حال المشركين عند سماعهم لآيات القرآن الكريم ، وما هم عليه من تكذيب، وجحود ، واستهزاء ، وسخرية ، فوصف السياق القرآني "الوجوه" بهذا الوصف لتصوير ملامحها التي تظهر على الوجوه، وهي صورة إنكار الوجوه لآيات الله، فهو دلالة وكناية وإشارة ، لإظهار ما يدور، وما تكنه قلوب هؤلاء المشركين من تكذيب ،وجحود، ونكران، عند سماعهم لآيات القرآن الحكيم فظهر ذلك أثره على وجوههم.

يقول الشوكاني:" تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر" أي: الأمر الذي يُنكر وهو غضبهم، وعبوسهم، عند سماعهم، أو المراد بالمنكر (الإنكار) أي: تعرف في وجوههم إنكارها".[١]

---

(١) ينظر: زهرة التفاسير، الشيخ/ محمد بن أحمد بن مصطفى، ج٩، ص (٤٩٥٢) .

فالكناية صوّرت المعنوي(السخرية والاستهزاء) ،بصورة حسية تظهر على الوجوه، وهذه الوجوه المنكرة ، للإيمان بآيات الله عند سماعها، والكناية أليق بالمقام لتناسبها مع المعنى الحاصل في النص.

إذ الوجوه تُظهر ما عليه القلوب عليه من علامات الفرح والبشر، أو الإنكار والوحشة.

يقول القشيري مبينا حال المؤمنين والكافرين عند سماعهم لآيات القرآن ،وأثر ذلك على القلوب والوجوه :" لسماع خطاب أثر في القلوب من الاستبشار والبهجة، أو الإنكار والوحشة ، ثم ما تخامره السرائر يلوح على الأسرّة في الظاهر، فكانت الآيات عند نزولها ،إذا تُليت على الكفار، يلوح على وجوههم دخان ما تنطوي عليه قلوبهم، من ظلمات التكذيب."(٢)

١٣- وفي تعبير السياق القرآني عن "سيماء الوجوه "

قَالَ تَعَالَىٰ: "مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا " (الفتح: ٢٩)

إذ وردت الآية الكريمة في سياق الحديث عن صفات أصحاب النبي ﷺ أنهم يكثرون من الطاعات ، مخلصون في العبادة، يقصدون رضا الله وجنته، فكان

---

(١) ينظر: فتح القدير، الشوكانى،ج٣، ص (٦٧٠)، نشر دار ابن كثير ،دار الكلم الطيب،دمشق ، بيروت، ط أولى- ١٤١٤هـ.

(٢) ينظر: لطائف الإشارات، القشيرى، ج٢، ص (٥٦١).

للطاعة والعبادة أثر على وجوه هؤلاء الصحابة والمؤمنون، إذ ترى نورا يشع من وجوههم ، في الدنيا والآخرة.

كما تعلو هذه الوجوه بياضا وبهجة، وسرورا، حتى تصبح سمة وعلامة ،تميز وجوههم عن وجوه غيرهم من الناس .

فتعبير السياق بقوله :"سيماهم في وجوههم من أثر السجود" كناية ودلالة ، وإشارة واضحة لتميز وجوه المؤمنين وخصوصيتهم بهذا النور والبياض ، الحاصل بسبب كثرة سجودهم، وعبادتهم لله عز وجل فأعمالهم الصالحة يظهر أثرها على وجوههم، والصورة الكنائية مناسبة للمعنى الحاصل في النص.

لذا جاء تعبير السياق بعد هذا الوصف، بصورة أخرى إلى جانب الكناية المصورة، وهي صورة (التشبيه التمثيلي) الذي يفيد التوكيد والتقرير، لوصفهم بأوصاف الإيمان والرحمة، واللين؛ إذ شبههم بالزرع اليانع الغض الذي يُعجب الزراع ، فاستحقوا المغفرة والأجر العظيم من الله عز وجل

يقول الشوكاني:" سيماهم في وجوههم من أثر السجود" "السيما: العلامة..... أي: تظهر علامتهم في جباههم من أثر السجود في الصلاة ، وكثرة التعبد بالليل والنهار"[١] ، وهذا الوصف بالكناية يعتبر من تتمة نعم الله عليهم ،فاستحقوا الوعد بالمغفرة ،والأجر العظيم ، وهو دخول الجنة.

فمن بلاغة السياق القرآني أن عبر بـ"الوجه" في الآية ،إذ تظهر عليه علامات تميز المؤمن من الكافر، فالمؤمن يُرى على وجهه النور، من أثر الطاعة والعبادة، وحسن السريرة ،والكافر يُرى على وجهه السواد من أثر الشرك والمعاصي.

---

(١) ينظر: فتح القدير، الشوكانى،ج٥، ص (٧٩).

لذا يقول ابن كثير مبينا أثر العلاقة الطيبة مع الله ،وظهور أثرها على الوجه:" والغرض أن الشيء الكامن في النفس يظهر على صفحات الوجه ، فالمؤمن إذا كانت سريرته صحيحة مع الله ،أصلح الله ظاهره للناس."(١)

١٤- وفي تعبير السياق القرآني عن "انكباب الوجه أثناء المشى"

قَالَ تَعَالَى: " أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ " (الملك: ٢٢)

إذ وردت الآية الكريمة في سياق الحديث عن حال المؤمن، والكافر في الدنيا، فالمؤمن يشعر بالسكينة والطمأنينة؛ لأنه يسير على الطريق المستقيم، فهو يعبد الله، ويفعل الطاعات ، ويبتعد عن المنكرات. أما الكافر فهو يعيش حياة الحيرة والشك، والضلال ،وعمى البصيرة، فلا يرى الحق والايمان .

فتعبير السياق بقوله: "يمشي مكبا على وجهه" بصورة التشبيه الضمني، تصوير لمشهد الحيرة والضلال الذي يتصف به الكافر في الدنيا ، بحال الإنسان الذي يمشي مكبوب الوجه على الأرض، تائها، حيرانا، مذلولا، مهانا ، فالتصوير في الآية جاء مصورا للمعنى بهذه الصورة، للتشخيص والتجسيم، لحالة الضلال وسيطرة الحيرة على الكافر، بعدم رؤيته للإيمان ،كما تظهر عليه علامات الذلة والمهانة ، بحال المنكب على وجهه – وهي صورة قبيحة مستخدما الاستفهام الإنكاري التوبيخي في أول الآية، (أفمن) ، واستخدام صيغة اسم الفاعل (مكبا) ، والتعبير بقوله: (مكبا على وجهه) للتنفير والتحقير من شأنه وصورته وهو مكبوب الوجه، ولإرادة المقارنة بينه ، وبين حال المؤمن الذي يسير على الصراط المستقيم، الذي لا اعوجاج فيه فهو يمشي سويا.

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير، ج ٧، ص (٣٦١)، ت: سامى بن محمد سلامة ،ط دار طيبة للنشر والتوزيع،ط٣، ١٤٢٠هـ.

فشتان بين هاتين الصورتين، مشي الكافر منحني القامة ، مكبوبا على وجهه، وحال المؤمن الذي يسير على صراط مستقيم ،وهو من ضرب المثل، لكل من المؤمن والكافر، للعظة والعبرة.

ويجوز: أن يكون تشبيها تمثيليا، لهيئة حال المؤمن والكافر، يقول ابن كثير:" وهذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر، فالكافر مثله فيما هو فيه، كمثل من يمشي مكبا على وجهه، أي: يمشي منحنيا لا مستويا على وجهه، أي: لا يدري أين يسلك؟ ، ولا يدري كيف يذهب؟، بل تائه، حائر، ضال، أهذا أهدى ،أمن يمشي سويا ،أي: منتصب القامة على صراط مستقيم ،أي: على طريق واضح بيّن ، وهو نفسه مستقيم، وطريقه مستقيمة ،هذا مثلهم في الدنيا ، وكذلك يكونون في الآخرة، فالمؤمن يُحشر يمشي سويا على صراط مستقيم ، مُفضى به إلى الجنة الفيحاء، وأما الكافر، فإنه يُحشر يمشي على وجهه إلى نار جهنم."[١]

فدلالة السياق في التعبير بلفظ (الوجه) مكبوبا ، متضمن لمعنى التشبيه التمثيلي لإرادة المفارقة والمقارنة الواضحة بين حالي المؤمن و الكافر، لتصوير أمر بالغ الأهمية، إذ فيه إيصال المعنى مصورا للملتقي بأسلوب بليغ، ودقة في التصوير ،عن طريق التشبيه الضمني، أو التمثيلي ، المتضمن لصورة التنفير والتحقير من شأن هذا الكافر المضل، كما إنه يصور مشهد حال المؤمن الذي يسير على صراط مستقيم ، بطريق التعريض، ففيه تنويع للأسلوب ، ودقة في البيان ، وهذا من تمام الإعجاز في أي القرآن الكريم ، لأخذ العظة والعبرة من حالي المتضادين ،وكِلا التشبيهين مناسب للمعنى في سياق النص.

---

(١) نفسه ،ج٨، ص (١٨١).

١٥- وفي تعبير السياق القرآني عن "الوجوه الناضرة والباسرة"

قَالَ تَعَالَى: " وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ " (القيامة: ٢٢ - ٢٥)

إذ وردت الآيات الكريمة في معرض الحديث عن أثر النعمة والنقمة ، والعمل الصالح ،على وجه العبد يوم القيامة ، من خلال تعبير السياق بـ (الوجوه) في قوله :(وجوه يومئذ ناضرة) ،(وجوه يومئذ باسرة)، ،إذ الوجه يعكس الحالة الشعورية والنفسية ، التي يكون عليها الإنسان في حالة الفرح أو الحزن. فوجه المؤمن يعلوه الحسن والجمال ، والنضرة، والبهجة، عندما يُنعم عليه بأعظم نعمة ، وهي نعمة النظر إلى الله تعالى –الكريم، فوجه المحب (المؤمن) يتهلل فرحا وجمالا، وسرورا عند النظر لله تعالى فالتعبير بـ "الوجه" في النص عكس الحالة الشعورية ،التي يكون عليها المؤمن ،فهو كناية ودلالة ، وإشارة ،لوجوه المؤمنين، المتهللين، فرحا وسرورا، وبهجة ، وإشراقا، لرؤية الذات العليا.

يقول القشيري : "ناضرة" أي:" مشرقة حسنة، وهي مشرقة؛ لأنها "إلى ربها ناظرة" أي: رائية لله."[١]

أما الجانب الآخر المضاد للمؤمن وهو(الكافر) ، فيظهر وجهه حزينا، مغتما ،من حزنه وخزيه، لذا عبر بقوله: "ووجوه يومئذ باسرة تظن أنها أن يفعل بها فاقرة"، فالتعبير بـ (الوجه) كناية ودلالة، وإشارة لعبوس وجوههم ،وسوادها ، واغبرارها ، لغضب الله عليهم، بسبب تيقنهم من العذاب المنتظر لهم ، ولكفرهم به تعالى

---

(١) ينظر: تفسير القشيري، ج٨، ص (٤).

يقول البغوي:" وجوه يومئذ باسرة": عابسة كالحة ، مغبرة، مسودة، "تظن أن يفعل بها فاقرة": تستيقن أن يُعمل بها عظيمة من العذاب، والفاقرة: الداهية العظيمة، والأمر الشديد يكسر فِقار الظهر."(١)

فالسياق القرآني عبّر باللفظ المناسب لحالي كلّ من المؤمن والكافر، والذي يظهر على وجوههما في حالين مختلفين، مما كان له أثر بالغ في التعبير عن أثر النعمة أو النقمة ، وظهور أثرهما على وجه العبد في حالي الفرح و الحزن، بأسلوب دقيق ، وإيجاز رائع وصورة بليغة، ناهيك عن الطباق الذي ظهر في الآية بين جانبي (المؤمن والكافر). والكناية أليق بالمقام، فقد عبرت عن هذه المعاني بأسلوب الإيجاز البليغ.

١٦- وفي تعبير السياق القرآني عن" الوجوه المسفرة والمغبرة"

قَالَ تَعَالَىٰ: " وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ " (عبس: ٣٨ – ٤٠)

إذ وردت الآيات الكريمة في سياق التعبير عن حال الناس عند قدوم يوم القيامة، فالمؤمنون نفوسهم مطمئنة ، لعلمهم بما أعدّه الله لهم ،من نعيم مقيم، وثواب جزيل، إذ تشعر قلوبهم بالفرحة والسرور، والطمأنينة والاستبشار، إذ يظهر ذلك أثره على وجوههم، فيعلوها النور، والسرور، والضحك، و الإشراق والضياء.

فكان تعبير السياق بقوله:" وجوه يومئذ مسفرة ،ضاحكة مستبشرة " إبانة عن مصيرهم الجميل، المشرق، إذ يتهللون نورا وسرورا، ضاحكين مستبشرين ، فرحين بمصيرهم، فالوصف في الآية دلالة، وكناية ،وإشارة، لظهور أثر نعيم الجنة على وجوههم من الإشراق والاستبشار.

---

(١) ينظر: تفسير البغوي، ج٥، ص (٢٢٦).

ويجوز: أن يكون التعبير بـ" الوجوه"، مجازا عقليا، لعلاقة المكانية، باعتبار أن الوجوه مكان، لظهور أثر الضحك والفرح عليها.

يقول ابن عاشور:

"وإسناد الضحك والاستبشار، إلى الوجوه مجاز عقلي؛ لأن الوجوه محل ظهور الضحك والاستبشار، فهو من إسناد الفعل إلى مكانه."[1] ونرى أن الكناية المصورة للمعنى، أليق بالمقام، إذ صورت (الوجوه) بأدق تعبير وأبلغ تصوير.

١٧ – وفي تعبير السياق القرآني عن "الوجوه الخاشعة والناعمة"

قَالَ تَعَالَىٰ: " وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴿٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ " (الغاشية: ٢ –١٦)

إذ وردت الآيات الكريمة في سياق الحديث عن موقف الناس يوم القيامة، وانتظارهم للحساب على أعمالهم التي قدموها في الدنيا، فأعمال الكافر، لا وزن لها ولا قيمة، فهو يُعذب لكفره بالله ورسوله ، فتنتابه حالة من الذهول والذلة، والانكسار، والهوان، فيشعر بخيبته وخسرانه ، لضياع أعماله التي بذلها إذ كان يظنها صالحة ، فجاء تعبير السياق عن هذا المعنى بتصوير هذا المشهد بأبلغ صورة، وأدق تعبير، إذ وصف وجوه الكافرين بأنها خائفة، ذليلة، ساكنة ،تنتظر عذابها، وهي محاطة بنار جهنم.

---

(١) ينظر :التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج٣٠، ص (١٢٢).

فالتعبير بلفظ (وجوه) وأوصافه ، كناية ودلالة، وإشارة لصورة وجوههم الذليلة ، وقد ظهرت عليها الذلة والمهانة ،والانكسار، عند إحساسهم بقرب عذابهم. أما المؤمنون يوم القيامة، فيجدون النعيم المقيم والثواب الجزيل ، جزاءً على أعمالهم الصالحة في الدنيا، فيشعرون بحال الرضا والفرح ، والسرور، لما يرونه من النعيم في الجنات، فترى وجوههم لينة، ناعمة، راضية ،فرحة، فكان تعبير السياق بلفظ (وجوه) للمؤمنين كناية ودلالة ، وإشارة إلى صورة ترفهم ونعيمهم، وسرورهم ، جزاء على إيمانهم.

فالكناية المصوّرة للمعنى في السياق ، عبرت عن تشخيص وتصوير للمعاني، بصورة حسية ظهر أثرها على الوجوه، من سعادة وبِشر، أو حزن وغم، تعبيرا عن حالة نفسية وشعورية، يظهر أثرها الواضح على وجه المؤمن والكافر، في إيجاز بليغ وبأسلوب دقيق ،وعبارة موجزة ، من خلال التعبير بأسلوب الكناية الرائعة المصوّرة، التي أفادت المبالغة في التصوير، كما أفادت الإيجاز والتشخيص.

ويجوز: أن يكون التعبير بـ (الوجوه) مجازا مرسلا، علاقته الجزئية ،عبر بالجزء (الوجه) ،وأراد الكل، الجسد كله. والتعبير بأسلوب الكناية المصورة أليق بالمقام ؛لأن الوجه يظهر عليه جليا أثر الفرح أو الحزن.

يقول ابن عاشور:" وأُوثرت "الوجوه" بالكناية عن أصحابها هنا ، وفي مثل هذا المقام ؛لأن حالة الوجوه تُنبئ عن حالة أصحابها، إذ الوجه عنوان عمّا يجده صاحبه من نعيم أو شقوة."[1]

ويقول صاحب كتاب (من بلاغة القرآن) مبينا الحكمة من التعبير بـ "الوجوه":" قالوا: إنه من إطلاق الجزء وإرادة الكل، فقد عبّر بـ "الوجوه" عن جميع الأجساد؛ لأن

(١) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور،ج٣٠، (٢٩٥).

النصب والتنعم حاصل لكلها، ولا أرى الذهن في حاجة إلى أن يُفهم هنا من الوجه معنى الجسم؛ لأن النصب والنعمة، يظهران أتم ظهور على الوجه."[1]

١٨ –وفي تعبير السياق القرآني عن "صك الوجه"

قَالَ تَعَالَىٰ: " فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ " (الذاريات: ٢٩)

إذ وردت الآية الكريمة في سياق الحديث عن حال زوج إبراهيم عليه السلام عند سماعها البشرى من الملائكة ، ورزقها بمولود، وهي في هذا السن الطاعن، وكيف قابلت ذلك بقولها: "عجوز عقيم" ، فقد انتابها حالة من التعجب والاندهاش ،والاستغراب ،عندما علمت بالخبر من الملائكة ، فكان ردها عن طريق السياق القرآني بقوله: (فصكت وجهها) ،وهو تعبير مجازى صدر من الزوجة تعبيرا عن تعجبها واندهاشها ،واستغرابها، بحركة حسية مصوّرة، وهي حركة "اللطم" أو "الضرب" باليد على الوجه ،تعجبا واندهاشا.

فتعبير النص السياق عن هذه الصورة "صك الوجه" كناية ودلالة، وإشارة، لتصوير حالة الاستغراب ،والاندهاش، والتعجب ،التي عبرت بها الزوجة عندما بُشرت بالإنجاب ، صورة كنائية معبرة عن معنى دقيق، كان لها عظيم الأثر في توجيه ذهن المتلقي، لقدرة الله عز وجل، وقد استخدم السياق هذه الصورة الحسية بأسلوب مؤثر وصورة بليغة، معبّرة عن المعنى المقصود.

يقول ابن عاشور:" والصك:اللطم، صك الوجه:عند التعجب عادة النساء أيامئذ."[2]

---

(١) ينظر: من بلاغة القرآن،أ/ أحمد البيلى البدوى، ج١ ، (١٧٢)، نشر نهضة مصر ، القاهرة،٢٠٠٥م.

(٢) ينظر : التحرير والتنوير، ابن عاشور ، ٣٦٠/٢٦ .

فالسياق القرآني قد رسم صورة لحالة الاضطراب والتوتر النفسي، التي هيّمنت على زوج إبراهيم عليه السلام عندما عبّر بالفعل (فأقبلت)، بؤرة نفسية للحدث ،تشير إلى خصوصية دلالية في التعبير بالفعل (فصكت) من دلالة إيحائية صوتية ، تتمثل بالثقل والشدة في معنى، وقلب المرأة ،مما يتناسب مع ذلك ويقويه، فقد كانت ترجو البشرى بالولد، هكذا عبّرت الكناية المصورة عن هذه المعاني، بقوله:(فصكت وجهها) ،فأفادت التشخيص والتجسيم للصورة الحاصلة في النص بهذا التصوير الرائع للكناية كما أفادت الايجاز.

(ثانيا: العين)

١ – في تعبير السياق القرآني عن "الأعين التي تفيض من الدمع"

قَالَ تَعَالَىٰ: "وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ " (المائدة: ٨٣)

إذ وردت الآية الكريمة في سياق الحديث عن طائفة من النصارى، يؤمنون بـ "الله"، وبـ "عيسى" عليه السلام وبـ "محمد" ﷺ فعلموا أن محمدا وإرساله إلى الناس كافة، وأنه حق والقرآن حق، ومن قوة إيمانهم ،أنهم كانوا يتأثرون تأثرا كبيرا ،عند سماع آيات القرآن الكريم، فترق قلوبهم، وتقشعر أبدانهم، وتذرف أعينهم، وتفيض بالدمع، لقوة تأثرهم وخشوعهم.

فكان تعبير السياق بقوله: (ترى أعينهم تفيض من الدمع) كناية ودلالة ، وإشارة ،لبيان حالة خشوعهم وخضوعهم ، وتأثرهم و التي ظهرت على عيونهم، ففاضت من الدمع، مبالغة.

يقول البيضاوي: (ترى أعينهم تفيض من الدمع)"هو بيان لرقة قلوبهم، وشدة خشيتهم، ومسارعتهم إلى قبول الحق، وعدم تأبيهم عنه، والفيض: انصباب عن

امتلاء، فوضع موضع الامتلاء للمبالغة، أو جُعلت أعينهم من فرط البكاء ،كأنها تفيض بأنفسها."[1]

فالتعبير بالكناية أقوى وأبلغ في تعبير السياق ،إذ عبر بفيضان الدمع من العين، لإظهار صورة خشوعهم وتأثرهم، بأوجز عبارة ، وأدق أسلوب ،وأبلغ تصوير . كما عبر بصيغة المضارع (ترى ، تفيض) لاستحضار صورة الرؤية الحاصلة عند السماع، واستحضار صورة ذرف الدموع من الأعين ، وكأنها ماثلة أمام المتلقي ، فالصورة الكنائية هي المناسبة للمقام والحال ،الذي وردت فيه ،لتحقيق صورة المبالغة المطلوبة وإظهار قوة خشيتهم عند سماعهم لآيات الذكر الحكيم، فصوّر السياق أعينهم أنها تفيض دمعا من فيض الخشية.

٣ – وفي تعبير السياق القرآني عن "الأعين الحزينة "

قَالَ تَعَالَىٰ: "وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ " (التوبة: ٩٢)

إذ وردت الآية الكريمة في سياق الحديث عن طائفة من المؤمنين، جاءوا إلى النبي ﷺ في غزوة تبوك، ليجاهدوا في سبيل الله ، وهم مخلصون في نيتهم، وعزيمتهم، فرفض النبي ﷺ خروجهم لقلة العتاد والخيل ،والسلاح، فرجعوا ،وهم يبكون من شدة الحزن والألم، على ضياع الجهاد مع النبي ﷺ ، فوصف السياق (أعينهم بأنها تفيض من الدمع حزنا)، فسُموا بـ "البكائين".

فلقوة حزن هذه الفئة من المؤمنين وبكائهم الصادق لعدم خروجهم للجهاد، جاء

(١) ينظر: تفسير البيضاوى، ج٢، (٣٥٧).

تصوير السياق لهذا الحزن والبكاء بصورة حسية، مؤثرة ، وهي نسب الفيضان للعين، من كثرة ذرفها للدموع، فكأن العين ممتلئة بالدموع حتى فاضت جفونها، والذي يمتلئ بالدموع هي الجفون، (مجاز مرسل)، علاقته المحلية، إذ الجفون مكان ومحل لذرف العين دموعها فيها. فبكاء العين دلالة وإشارة وتصوير، لحالة الحزن والألم التي أصابتهم، بأسلوب بليغ وتصوير دقيق ،أفاد المبالغة في تصوير مدى تأثرهم ،وحزنهم الصادق، لعدم خروجهم للجهاد ، وفيه من التشخيص والتجسيم الحاصل عندما عبر بفيض أعينهم حزنا.

لذلك يقول صاحب وظيفة الصورة الفنية في القرآن: " وهناك طائفة من المؤمنين لا يملكون نفقة الجهاد، وقد أذن لهم الرسول ﷺ أن يبقوا في المدينة، ولكنهم كانوا متألمين ، ومتأثرين، لعدم خروجهم مع رسول الله ، وقد جسّمت الصورة صدق نفوسهم، وشدة تأثرهم ،بفيض الدموع، فهذه الصورة تعبر عن شدة التأثر، والصدق ،حيث إن العين جُعلت كأن كلها دمع فائض".[1] مبالغة، ليحدث تصوير التناغم في السياق والمقام مع حال المخاطبين.

٣ –وفي تعبير السياق القرآني عن "بياض العين"

قَالَ تَعَالَىٰ: " وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ " (يوسف: ٨٤)

إذ وردت الآية الكريمة في سياق الحديث عن بياض عيني يعقوب –عليه السلام من كثرة بكاءه على ضياع ابنه يوسف عليه السلام ، فقوله: "ابيضت عيناه"، إذ

(١) ينظر: وظيفة الصورة الفنية فى القرآن ،أ/ عبد السلام محمد الراغب،ج١،ص (٢٥١) ، نشر فصلت للدراسات والترجمة، والنشر، حلب،ط أولى ،١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

بياض العين كناية ودلالة، وإشارة، لمرضها وعدم الإبصار بها، فالحزن القوى، سبب في بياض العين وعدم إبصارها ،فالتعبير بـ" بياض العين" كناية عن صفة العمى، لذا قيّده بقوله (من الحزن)إظهارا لحالة الحزن القوى البالغ، الصادر من يعقوب عليه السلام على ضياع ابنه "يوسف "عليه السلام والكناية هنا أفادت تصوير المعنوي (الحزن الشديد) في صورة حسية، وهي العمى وفقدان البصر، ويجوز: أن يكون مجازا مرسلا، باعتبار أن العمى مسبب عن الحزن الشديد للمبالغة. وهذا رأي له وجاهته، ويمكن الأخذ به.

يقول د/ قزمور دياب:" أن البياض المصحوب بضياع البصر غالبا معناه الزرق؛ لأن القرنية الطبيعية شفافة لا لون لها، وعندما تُصاب بالزرق تصبح غيمة بيضاء، وقد أثبت العلم أن من أهم أسباب الزرق التغيرات في الأوعية الشعرية في العين، نتيجة لأسباب كثيرة من أهمها: الانفعالات النفسية ولاسيما بسبب الحزن الشديد"[١].

يقول الألوسي:"وابيضت عيناه من الحزن"أي: بسببه ،وهو في الحقيقة سبب للبكاء ،والبكاء سبب لابيضاض عينه، فإن العَبرة التي كثُرت محقت سواد العين ، وقلبته إلى بياض كدر، فأقيم سبب السبب مقامه، لظهوره."[٢]

وعليه فيجوز: أن يكون التعبير مجازا مرسلا،علاقته المسببية، إذ بياض العين (العمى) ، مسبب عن الحزن الشديد، الذي لحق بعيني "يعقوب" عليه السلام.

---

(١) ينظر : مع الطب في القرآن الكريم ، د/ قزمور دياب ، ص (٥٩) ، ت: د/ محمود ناظم نسيمى ،نشر مؤسسة علوم القرآن، دمشق، ط٢، ٢٠١٤هـ -١٩٨٢م ، والإعجاز العلمى فى القرآن الكريم، د/ محمد سامى محمد ، ص (١٥٣)، دمشق ، دار المحبة، ١٩٩٣م.

(٢) ينظر : روح المعانى، الألوسى ، ج١٣، ص(٤٠).

يقول أبو حيان:" أن هذا الاستعمال يأتي في سياق يصاحب الدمع فيه، أو يتضمن هو الدلالة عليه، إذ علّل الابيضاض بالحزن ،وإنما هو من البكاء المتوالي وهو ثمرة الحزن، فعلّل بالأصل الذي نشأ منه البكاء وهو الحزن"(١).

٤- وفي تعبير السياق القرآني عن "ازدراء الأعين"

قَالَ تَعَالَىٰ: "وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ " (هود: ٣١)

إذ وردت الآية الكريمة في سياق الحديث عن تمنِ المشركين، أن يطرد (نوح) عليه السلام الفقراء والضعفاء من المؤمنين من مجالسهم ؛ لأنهم أرذال القوم، وفقراءهم، وضعفائهم، فهؤلاء المشركون ينظرون لفقراء وضعفاء المؤمنين، نظرة ازدراء، واستصغار، واستهزاء.

فكان تعبير السياق بقوله: (تزدرى أعينكم) كناية ودلالة ،وإشارة لإظهار احتقار واستصغار المشركين، لهؤلاء الضعفاء من المؤمنين، استهزاءَ وسخريةً ، وقد أفادت الكناية المصورة للمعنوي بصورة حسية، للتشخيص والتجسيم الحاصل في السياق.

يقول الشيخ محمد رشيد رضا: " الازدراء: افتعال من الذراية ، يقال: ذرى على فلان، يزرى، زراية – بالكسر إذا عابه واستهزأ به ، وأزرى به، إزراءً: تهاون به، أي: ولا أقول في شأن الذين تنظرون إليهم نظر الاستصغار، والاحتقار، فتزدريهم أعينكم لفقرهم، ورثاثتهم."(٢)

---

(١) ينظر: البحر المحيط ، أبو حيان ،ج ٥، ص٣٣٨.

(٢) ينظر: تفسير المنار، الشيخ / محمد رشيد رضا،ج١٢، ص (٥٨) ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

٥ –وفي تعبير السياق القرآني عن " دوران العيون"

قَالَ تَعَالَىٰ: " أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ۖ " (الأحزاب: ١٩)

إذ وردت الآية الكريمة في سياق الحديث عن تصوير حال المنافقين، وبيان مدى شعورهم، ودرجة إيمانهم، عندما يدعون إلى جهاد المشركين وقتالهم، وقد عبر السياق القرآني عن هذه الحالة بصورة بليغة، محسوسة، متحركة، وهي صورة (دوران الأعين في الأحداق)، وكأنها حاضرة أمام المتلقي يستحضرها أمامه ، إذ ينتاب هؤلاء المنافقين حالة من الخوف والجزع، والرهبة، والاضطراب، عندما يُدعون إلى مقابلة العدو، فصورة الكناية أشارت لتصوير مدى جبنهم ، وضعف إيمانهم، وضعف يقينهم بـ" الله" عز وجل لأنهم آمنوا بأفواههم ، ولم تؤمن قلوبهم، إذ عبر بقوله: "تدور أعينهم" في نص الآية الكريمة.

إذ التعبير بـ" دوران الأعين" فيه تصوير لمعنى جبنهم وتزلزلهم، وضعف إيمانهم، مما كشف عن حقيقة كذبهم ونفاقهم، بصورة حسية ، متحركة، مؤثرة في النفس ، وهي صورة "دوران العيون" داخل الجفون والأحداق، إذ إن دورانها يمينا ويسارا، يشير إلى التعبير عن حالة التوتر، والقلق، والاضطراب ، والخوف، التي أصابتهم عند ملاقاة عدوهم ،لذا عبر بالأفعال (رأيتهم، ينظرون، تدور)، فصورها السياق بصورة دوران عين المحتضر التي لا تلبث أن يتخللها اضطراب وعدم سكون، انتظارا للموت ، وخوفا ورهبة منه، هذه الصورة الحسية المتحركة ،عبرت عن معانى الخوف والقلق، والاضطراب التي أصابت هؤلاء المنافقين ، بأبلغ تعبير، وأدق أسلوب. ناهيك عن دخول أداة التشبيه (الكاف) على الجملة الموصولة، لتوكيد المعنى وتحقيقه.

يقول د/ عبد الفتاح لاشين:" لأن أدق ما يميز الخائف حركات عينيه ، فقد يستطيع الخائف أن يتحكم في كل عضو من أعضائه، وكل حركة من حركات جسمه،

بحيث لا يُظهر خوفه على أحد، لكن شيئا معينا لا يستطيع، مهما تبلغ به قوة الأعصاب أن يتحكم فيه، هي حركة عينيه، فلا بد أن تظهر فيهما انفعالات خوفه ورعبه."[١]

وبذلك سجل القرآن الكريم سبقا ملحوظا في" الدراسات النفسية الحديثة، التي أثبتت أن الخوف الشديد –غالبا ما ترافقه تغيرات حادة في ملامح الوجه ، ولاسيما في حركات العيون، واضطرابتها العنيفة "[٢].

يقول ابن عاشور:" فمعنى "تدور أعينهم": أنها تضطرب في أجفانها، كحركة الجسم الدائرة من سرعة تنقلها محملقة إلى الجهات المحيطة، وشبّه نظرهم بنظر الذي يُغشى عليه، بسبب النزع عند الموت ، فإن عينيه تضطربان."[١]

يقول د/ محمد البستانى:" إذ التشبيه يكشف عن بنية الصورة في النص القرآني ، فيكشف عن عمق الخوف الذي يغلّف شخصية المنافقين ،حيث تشكلت الصورة الكلية من صورة رمزية هي "دوران الأعين" إلى صورة تشبيهية (تشبيه تمثيلي) ، وهي تصوير حال المغشي عليه من الموت، وفي ذلك تكثيف للحظة الخوف، بل وفيه إشارة إلى عقدة الخوف ،التي تراود المنافقين في حياتهم، فلعل السبب الذي استدعى مثل هذا التركيب، في هذه الصورة الحركية ،هي أن الخوف الذي يطبع على المنافقين ليس خوفا عاديا، بل هو خوف مركب، حيث إن أحدهما :هو الخوف العام، الذي يطبع سائر المضطربين نفسيا، والآخر: هو الخوف الخاص الذي يطبع على النفعيين الذي يقوّم سلوكهم، أساسا على جلب المنفعة لذواتهم"[٣].

---

(١) ينظر: لغة المنافقين في القرآن، د/ عبد الفتاح لاشين، ٢/٨٥.

(٢) ينظر: المرجع في علم النفس د/سعيد جلال، ص (٣٢٧: ٣٣١) .

(٣) ينظر: دراسات فنية فى سور القرآن، د/ محمد البستانى، (٦) الانترنت.

كما أن التعبير بالفعل (تدور) يمنح الأسلوب " لونا من الحركة في الأسماء، والحركات."[١]

ويجوز: أن يكون إسناد الدوران للعيون ، مجازا مرسلا، علاقته: المحلية ، والأصل : أن تدور الأحداق في العيون ، ولكن من شدة هذا الدوران وسرعة التقلب ، خُيّل للرائي أن العيون كلها تدور لا الأحداق، فالمبالغة الدقيقة في المعنى عبّر عنها السياق ، من خلال التصوير بالصورة المجازية.

إذ صورة دوران العيون التي عبر عنها ، كأن الدوران فيها كان للعيون والأحداق معا، حتى أن الدوران أصاب الجفون والأهداب، وفيه إشارة لشدة الحركة المضطربة، وكثرة دورانها المستمر. وهذا رأي له وجاهته، ولكن لوجود أداة التشبيه الظاهرة في الآية يجب حملها على التشبيه.

يقول د/محمد أبو موسى عبّر بالمضارع (تدور) : "لأن هذا الفعل أدل على إظهار الحركة الدائبة، وأكثر إيحاءً بتتابع الحركة على الدوام، وفي التعبير بالمضارع استحضار للصورة، وتمثيل لها أمام السامع."[٢]

٦ –وفي تعبير السياق القرآني عن "العين الخائنة"

قَالَ تَعَالَىٰ: " يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ " (غافر: ١٩)

إذ وردت الآية الكريمة في سياق التعبير عن سعة علم الله ، وإحاطته بكل صغيرة

---

(١) ينظر : تحاليل أسلوبية ،محمد الهادى الطرابلسى، ٢٨٠، دارالجنوب للنشر ، تونس ،علم الأسلوب (مبادئه و اجراءاته) ، د/ صلاح فضل ، ص ١٤٦، ٢٠٠٧م ، دار الشروق.

(٢) ينظر: من أسرار التعبير القرآنى، دراسة تحليلية لسورة الأحزاب، محمد أبو موسى، ص(٧٩) ،ط ٢، ١٤١٦هـ –١٩٩٦م، مكتبة وهبة.

وكبيرة في حياة كل إنسان، فهو لا تخفى عليه خافية، وسيحاسب كل إنسان يوم القيامة، على عمله الذي اقترفه في الدنيا. حتى النظرة الخائنة الخفية ،لكل أحد لا تخفي عليه تعالى، ولأن تعبير السياق بـ "العين الخائنة " هو الأليق بالمقام، فكان تعبير النص القرآني عن اطلاعه سبحانه على كل ما دقّ وصغُر من أعمال الجوارح لكل إنسان ،فعبّر عن علمه الواسع الذي لا يحده بصر، بعلمه تعالى لنظرة العين الخائنة الخفية .

ففيه كناية ودلالة ، وإشارة لسعة علمه –تعالى وإحاطته بأعمال جوارح خلقه، كما استخدم المضارع (يعلم)، للإشارة إلى علمه الواسع لأفعال عباده ، والذي لا ينتهِ إليه حد ، ولأنه لا يصح أن ينسب إليه المعرفة.

وفي وصف العين، باسم الفاعل (خائنة) للدلالة على الثبوت والاستمرار، وللمبالغة المقصودة، وعطف عليها قوله:(وما تُخفي الصدور) لاستحضار صورة علمه –تعالى بما تكنه الأعين من نظر صريح، وخفي، وما تخفيه الصدور، مقصودا بها (القلوب) ، وهي ما تشتمل عليه من خير وإحسان ،أو من شر وأحقاد، بصورة المجاز المرسل، لعلاقة المحلية ،أطلق المحل وأراد الحال فيها، مبالغة وللتشخيص، والتجسيم.

والتعبير بـ "العين الخائنة" التي قصدها السياق ،هي النظرة التي يسترقها صاحبها فيُ خفية ، من أجل غرض سيء ، كالغدر والقتل، والسخرية، والاستهزاء، وغيرها ،إذ قوله: (يعلم خائنة الأعين وما تُخفي الصدور) تعليل لما سبق من الوعيد للظالمين ،الذين أُنذروا بيوم القيامة وما فيه من أهوال، ومخاوف، وعذاب، وحساب لهم، بطريق التعريض.

يقول د/عبد الكريم الخطيب مبينا دلالة التعبير بـ" العين الخائنة": قوله تعالى: "يعلم خائنة الأعين وما تُخفي الصدور" "تعليل لما في الآية السابقة من وعيد

للظالمين الذين أُنذرا بيوم القيامة، وما فيه من أهوال، وأن الذي سيحاسبهم هناك هو الله سبحانه الذي يعلم ما يبدون وما يكتمون ،لا تخفي عليه منهم خافية، ولا يرد عنهم بأسه أحد ،.... ...."[1]

وقد ذكر الماوردي سبب تسمية النظرة الخفية بـ" خائنة الأعين" فيقول : "وفي تسميتها خائنة الأعين وجهان أحدهما: لأنها أخفي الإشارات ، فصارت بالاستخفاء كالخيانة ،والثاني: لأنها باسترق النظر إلى المحظور خيانة."[2]

وقد أحسن ابن عاشور حين ذكر أغراض النظرة الخائنة فقال:" والمراد بـ (خائنة الأعين): النظرة المقصود منها إشعار المنظور إليه، بما يسوء غيره الحاضر ، استهزاءً به ،أو إغراءً له."[3]

٧ –وفي تعبير السياق القرآني بـالنهي عن "مد العينين"

قَالَ تَعَالَىٰ: " لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ "(الحجر: ٨٨)

إذ وردت الآية الكريمة في سياق الحديث عن نعمة القرآن الكريم ، التي أنعم الله – تعالى بها على رسوله ﷺ ، فهي أفضل نعمة ، لذا جاء تعبير السياق بقوله: (لا تمدن عينيك) بمثابة رسالة تحذير من قِبل الله ، لنبيه من الاغترار بالدنيا وملذاتها، وتحذيره ﷺ من النظر إلى ما في أيدى المشركين من نعم زائلة ،فجاء سياق الآية الكريمة كرسالة تحذير وتنبيه، بأن الله قد منّ عليك يا محمد ، بما هو أعظم من

---

(١) ينظر : تفسير القرآن بالقرآن ،أ/ عبد الكريم يونس الخطيب،ج٢، ص (٢١) ،نشر دار الفكر العربى– القاهرة.

(٢) ينظر : تفسير الماوردى ،(النكت والعيون)، أبو الحسن على البصرى، ت: السيد عبد المقصود ، ج٥ ، ص (١٥٠) ، نشر دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير ، ابن عاشور، ج٢٤، ص (١١٦).

متاع الدنيا الزائل ،" القرآن الكريم" ، فإن الله يُغدق على الكافرين بالنعم مع كفرهم بها، وجحودهم ،حتى يفتنهم، ثم يكون مآلهم للحساب والعقاب .

لذا كان تعبير السياق القرآني بقوله :" لا تمدن عينيك" بتعبيره بلفظ "عينيك" كناية ودلالة، وإشارة، لتحذير النبي ﷺ من نظره وإعجابه ، وتطلعه إلى ما في أيدى المشركين، من متاع الحياة الدنيا، فعبر السياق عن هذه المعاني بصورة حسية ،حركية ،مرئية، وهي حركة (مد العين) مما أضفي على السياق لفتا لجمال تعبير أسلوبه ، وكأن المتلقي يشاهد المعنى بصورة حسية ومشاهدة، وهي صورة (مد العين) وزيادتها ،إذ من شدة التطلع والنظر، كأنه أخرج حبة عينيه إلى الأمام. فأفاد المبالغة في تصوير المشهد بصورة الكناية المصورة للمعنى، بالتشخيص والتجسيم الحاصل في السياق.

٨ – وفي تعبير السياق القرآني عن هذا المعنى في آية سورة "طه"

قَالَ تَعَالَىٰ: " وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ " (طه: ١٣١)

فقد رسم السياق القرآني صورة للهيئة المصاحبة للاهتمام بالمتاع الزائل، مبالغة، إذ جاء تصويره السياق للتطلع والاهتمام بالمتاع الزائل، بصورة من يُخرج حبة عينيه إلى الأمام ،وهي (صورة تشبيهية مركبة) ، (تشبيه تمثيلي) . يقول أ. عبد السلام الراغب : " الصورة المرسومة هنا ترسم الهيئة المصاحبة، للاهتمام بالمتاع الزائل على سبيل المبالغة ، لأن العين لا تمتد، وإنما يمتد البصر، ولكن الصورة جعلت العين نفسها هي الممدودة ، زيادة في التخييل الحسى والتصوير النفسي ،لحالة الاهتمام الزائد على المألوف للمتاع الزائل ، والغرض من المبالغة في

هذا التصوير ، هو حث الرسول ﷺ على ألاّ يحفل به، ولا يلتفت إليه".[١]

وفي زهرة التفاسير: " عبر سبحانه عن الطموح إلى ما هم فيه، والغرور به، عبر عن ذلك بمد العين، لأن هذا يسترعي النظر، فكأن الأعين تمتد إليه ،ولا تنحرف عنه."[٢]

(١) ينظر : وظيفة الصورة الفنية فى القرآن ،أ/ عبد السلام أحمد الراغب، ج١،ص (١٤٥).

(٢) ينظر : زهرة التفاسير ،أ/ محمد بن أحمد بن مصطفى،ج٨، ص (٤١١)،ط دار الفكر العربى.

المبحث الثاني

جمالية التصوير البياني في التعبير بدلالة " الرأس واللسان" في القرآن الكريم

ثانيا: الرأس

١-في تعبير السياق القرآني عن "إهطاع وإقناع الرؤوس "

قَالَ تَعَالَىٰ: "مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ " (إبراهيم: ٤٣)

وردت الآية الكريمة في سياق الحديث عن تصوير حال الظالمين يوم القيامة، عندما يدعون إلى الوقوف بين يدى الله عز و جل – للحساب، فتنتابهم حالة من القلق، والذلة، والانكسار، فقد كانوا ينكرون البعث والحساب في الدنيا ،ففزعوا في الآخرة من العذاب الذي ينتظرهم ،فجاء تصوير السياق لهذا المصير المحتوم لهم، وعبّر بقوله:"مهطعين مقنعي رءوسهم" فرسم السياق هذا المشهد المهيب، بدلالة واضحة على تصوير خوفهم وذلتهم ، وانكسارهم، من رهبة ذلك اليوم وشدة وقعه عليهم ، ووصفه لهذه لذلتهم وخستهم ،ومهانتهم التي ظهرت على رءوسهم ، وتصويرهم بصورة حسية، وهي "الإهطاع" بمعنى: الإسراع مع خوف وذلة ،ومهانة، وكذلك "إقناع رءوسهم" وهو : رفع الرؤوس أو خفضها مع انكسار معنوي لأصحابها، مما يحدث أثرا قويا في نفوسهم من إحساس بألم، وخذلان، وخزى ، وانكسار، وهو من تصوير المعنوي بصورة الحسي، بأسلوب الكناية المعبرة عن المعنى المقصود، بالتشخيص والتجسيم ، فصوّر السياق هذا المشهد بقوله :(مهطعين مقنعي رءوسهم) بأسلوب الكناية المصوّرة ،كما استخدم في وصف صورتهم لصيغة (اسم الفاعل) ، (مهطعين، مقنعي) ، دلالة على ثبوتهم واستمرارهم على هذا الوصف المهين لهم، وهذا مما يلائم حالهم الشنيع والقبيح، وهم منكسي الرءوس.

يقول الشوكانى:"مقنعي رءوسهم" أي: رافعي رءوسهم ، وإقناع الرأس: رفعه، وأقنع

صوته: إذا رفعه، والمعنى: أنهم يومئذ رافعون رءوسهم إلى السماء، ينظرون إليها نظر فزع وذل، ولا ينظر بعضهم إلى بعض، وقيل: إن إقناع الرأس نكسه، ويقال :أقنع رأسه: إذا رفع رأسه، وأقنع: إذا طأطأه، ذلة، وخضوعا، والآية محتملة الوجهين."[1] فتعبير السياق ووصفه لصورة الظالمين ،وهم في موقف الحساب مذعورين، تنتابهم حالة من الفزع، والخوف، والذلة ، والمهانة، منكسرين ، مطأطأي رءوسهم، وهم يسرعون في سيرهم ، وقد ظهرت عليهم آثار الذلة والفزع، فجاء تعبير السياق عن هذا المعنى بالصورة الكنائية، دلالة وإشارة ،لبيان حالهم وتصويرهم بصورة حسية منفرة، للتأكيد والتقرير على شناعتهم وخستهم، ولتقريب الصورة لذهن المتلقي، بهذه الصورة الحسية المصورة، ولإظهار الحالة الشعورية الداخلية ،التي بدت على رءوسهم، وهي إذلالهم وانكسارهم النفسي والمعنوي، بصورة الكناية المصوّرة للإيجاز البليغ، كما أفاد التصوير التشخيص والتجسيم بهذه الصورة الحسية المصورة.

٢ –وفي تعبير السياق القرآني عن "انغضاض الرأس"

قَالَ تَعَالَىٰ: " فَسَيُنغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا " (الإسراء: ٥١)

إذ وردت الآية الكريمة في سياق الحديث عن تعجب المشركون ، من إحياءهم بعد موتهم، وبعثهم م للحساب، وإنكارهم للبعث، واستبعاده ، بعد ما أصبحوا عظاما ورفاتا في قبورهم، فأخبرهم الله تعالى عن واسع قدرته، بإعادة خلقهم وبعثهم ،حتى ولو صاروا حجارة أو حديدا، لم يسبق لهم الحياة، فجاءت الآية بعدها " فسينغضون إليك رءوسهم" لإظهار وإبراز القدرة الإلهية، والعظمة الربانية، التي سخر المشركون منها ،واستهزءوا وتهكموا بها، فجاء السياق ، ليرسم صورة حركية ،محسوسة، مرئية

(١) ينظر: فتح القدير، الشوكانى ،ج٣، ص (١٦٤) .

لحركة رءوسهم، وهي صورة "انغضاض رءوسهم" وهي حركة تحريك الرأس من أسفل إلى أعلى، أو العكس، كناية ودلالة، وإشارة ، لصورة سخريتهم ،واستهزاءهم ، واستبعادهم، لبعثهم بعد الموت، للحساب والعقاب، بدليل أنهم سألوا بعد ذلك، بقولهم :على سبيل التهكم، بقوله في نفس الآية: "ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا". فالكناية المصورة أعطت المعنى مصورا بالدليل والبرهان، كما صورت المعنوي في صورة حسية.

يقول ابن عادل:" قوله تعالى :" فسينغضون إليك رءوسهم" أي: يحركونها استهزاءً، يقال: أنغض رأسه ينغضها، أي: يحركها إلى فوق وإلى أسفل، انغضاضا، فهو منغض."[١]

٣- وفي تعبير السياق القرآني عن صورة" نكس الرؤوس"

قَالَ تَعَالَىٰ: "ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ " (الأنبياء: ٦٥)

إذ وردت الآية الكريمة في سياق الحديث عن حوار، دار بين إبراهيم عليه السلام – وقومه في مشهد تكسير الأصنام عند غيبتهم، فنسبوه له، فأراد إبراهيم أن يُقيم الحجة عليهم، من خلال الإقرار بأن أصنامهم التي يعبدونها من دون الله عز وجل ما هي إلا حجارة لا تنفع ولا تضر، وعلى الرغم من إقامة الحجة عليهم ، ظلّوا معاندين، متكبرين، ينكرون الحق بعد ظهوره.

فجاء تعبير السياق بقوله :"ثم نكسوا على رءوسهم" معبرا عن صورة حركية، حسية، متحركة ،لتصوير حالة رجوع هؤلاء القوم عن الحق ،وعدم اعترافهم به، وتصويرها بصورة نكس الرءوس، وهي صورة الشخص الذي يقف على رأسه، محولا

---

(١) ينظر: اللباب في علوم الكتاب ، م/أبوحفص سراج الدمشقى النعمانى ، ٣٠٦/١٢، ت: عادل أحمد،وعلى محمد معوض ، نشر دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان،ط أولى،١٤١٩هـ -١٩٩٨م.

رجليه إلى أعلى، وهي صورة تشمئز منها النفوس والعيون، تنفيرا من منظرها وتقبيحا لهم . **وهذه الصورة إما أن تكون في الآية:**

أ- دلالة وكناية عن تصوير حالة رجوعهم عن الحق، بعد اعترافهم به، وصوّرت الكناية هذه الصورة القبيحة غير المألوفة، لتصوير المعنوي بصورة حسية، لتقريبها في الأذهان، بأسلوب بليغ، وتصوير دقيق.

ب- أو: تشبيه تمثيلي؛ لتصوير هيئة الشخص الذي يرجع عن الحق بعد الاعتراف به ، بصورة الشخص الذي يقف على رأسه ورجليه لأعلى، وهي صورة قبيحة ،ومنفرة ،نهي عنها السياق القرآني تقبيحا لها وتنفيرا منها. والمعنى على كلا الصورتين ملائم ومناسب، وإن كانت الكناية أليق بالمقام والحال.

يقول البيضاوي مبينا دلالة الحركة الجسدية:" ثم نكسوا على رءوسهم" أي: "انقلبوا إلى المجادلة ، بعدما استقاموا بالمراجعة، و شبّه عودهم إلى الباطل بصيرورة أسفل الشيء مستعليا على أعلاه."[1]

٤ -وفي تعبير السياق القرآني عن صورة "ليّ الرؤوس"

قَالَ تَعَالَىٰ: "وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ " (المنافقون: ٥)

إذ وردت الآية الكريمة في سياق نصح فئة من المؤمنين للمنافقين وإرشادهم، كي يعتذروا للنبي ﷺ عمّا بدر منهم من كفر ونفاق، فيتوبوا ،ويرجعوا إلى الله، ولكنهم أعرضوا ، ورفضوا قبول نصح وإرشاد المؤمنين لهم ، فجاء تعبير السياق وصوّر إعراضهم ورفضهم للاعتذار، بصورة حسية حركية ، محسوسة " ليّ الرءوس" أي: تحريك الرأس يمينا ويسارا، كناية عن إعراضهم واستكبارهم ، والتي عبرت عن

(١) ينظر: تفسيرالبيضاوى ، ج ٤/١٠٠.

مكنون ما في صدورهم، وقلوبهم من إعراض، ورفض، ففيه تشبيه لصورة المعنوي بصورة حسية، لإيصال معنى رفضهم الاعتذار بهذه الصورة القبيحة، إظهارا للمبالغة في قوة إعراضهم واستكبارهم، ورفضهم، أو هو: كناية ودلالة، وإشارة، لصورة الإعراض عن الحق ،واستكبارهم عن قبول النصح والارشاد ، والكناية أليق بالمعنى المناسب في النص ،إذ (لىّ الرأس) كناية عن رفض وإعراض عن قبول الحق ، فهي من تصوير المعنوي بصورة الحسى، للتشخيص والتجسيم، مبالغة وإيجازا.

يقول الزمخشري: " لوّوا رءوسهم" :عطفوها و أمالوها ،إعراضا عن ذلك استكبارا."[١]

٥ –وفي تعبير السياق القرآني عن" شيب الرأس"

قَالَ تَعَالَىٰ: "وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا " (مريم: ٤)

إذ جاء تعبير السياق القرآني عن انتشار الشيب في الرأس بقوله: "اشتعل الرأس شيبا"، للمبالغة بأسلوب الاستعارة المصورة لعموم الشيب وانتشاره، إذ أصل الكلام : واشتعل شيب الرأس، وإنما قدّم (الرأس) على (شيبا)، للمبالغة؛ لأنه يستفاد منه عموم الشيب لجميع الرأس، ولو جاء الكلام على وجهه، لم يفد ذلك العموم ، ولا يخفى أنه أبلغ ،من قولنا: كثُر الشيب في الرأس ، وإن كان ذلك حقيقة المعنى، فقد استعيرا لاشتعال للشيب من النار، بجامع الكثرة والانتشار، والشمول، وكل من الشيب والنار حسي، ووجه الشبه: الانبساط ومشابهة ضوء النار، لبياض الشيب ، وكل ذلك محسوس، ونرى أن الوصف في المشبه به أقوى من المشبه ، فوصف الاشتعال في النار أقوى من وصفه في الشيب، فالتحق الشيب بالنار في هذا الوصف، فيكتسب منه المبالغة التي في المشبه به.

---

(١) ينظر: الكشاف، الزمخشرى، ٥٤٣/٤ .

ثانيا: اللسان

١-في تعبير السياق القرآني عن "ليّ الألسنة"

قَالَ تَعَالَىٰ: "وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ " (آل عمران: ٧٨)

إذ وردت الآية الكريمة في سياق الحديث عن صفات اليهود ، وما اتصفوا به من كذب وخداع، وتزييف للحقائق ،وتحريفهم لكلام الله عز وجل المُنّزل في التوراة كذباعلى المسلمين، لخداعهم ولتشكيكهم في إسلامهم وإيمانهم.

فجاء تعبير السياق معبرا عن هذه الحالة، بصورة "لي الألسنة" في قوله :(يلوون ألسنتهم) معبراعن تحريف اليهود للتوراة وخداعهم للمسلمين ،وكذبهم عليهم، بصورة حسية، وهي "لي اللسان"، تشبيها للمعنوي بصورة حسية، وهي ليّ الشيء المحسوس، فيتحرك إلى اتجاه آخر، فكأنه أعرض عن الحق إلى الباطل، ومن الصدق إلى الكذب (تشبيه تمثيلي).

ويجوز: أن يكون صورة (ليّ الألسنة) كناية ودلالة، وإشارة ، لتصوير الإعراض عن الحق بتحريفهم للتوراة وتزييفهم لها، وتصوير كذبهم بصورة "ليّ الألسنة"، كناية عن تصوير خداعهم الصورة القبيحة. والكناية أليق بالمقام ، لتناسبها مع حال لي الألسنة ، فقد صورت المعنى بأدق تصوير وأبلغ أسلوب.

يقول القرطبي:" والمعنى: يحرفون الكلم ، ويعدلون به عن القصد، وأصل "الليّ": الميل، لوي بيده، ولوي برأسه، ٹ ڈ " ڤ ڤ" (النساء:٤٦) أي: عنادا عن الحق، وميلا عنه إلى غيره."[١]

(١) ينظر: تفسير القرطبى، ٤/ ١٢١.

٢ –وفي تعبير السياق القرآني عن "شهادة الألسنة "

قَالَ تَعَالَىٰ: "يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ " (النور: ٢٤)

إذ وردت الآية الكريمة في سياق الحديث عن حديث الإفك، وإتهام السيدة "عائشة" –رضى الله عنها كذبا وبهتانا ، فبيّن الله تعالى من خلال التعبير بشهادة ألسنتهم عليهم، أن الأفواه ستتكمم يوم القيامة، حتى تنطق الألسنة وتشهد بكل ما تفوّهت به في الدنيا، فلا مجال للكذب يوم القيامة.

فشهادة الألسنة على أصحابها يوم القيامة ،كناية ودلالة، وإشارة واضحة ، لتصوير صورة الاعتراف والنطق، والتكلم بكل ما تفّوه به اللسان في الدنيا، من قذف وشتم ،ورمي الناس بهتانا ،وظلما، وهذا أبلغ في الزجرعن ارتكاب المعاصي في الدنيا ،ولتحقيق العدالة يوم القيامة ،وللتنكيل بموقفهم الشنيع الذي فعلوه في الدنيا.

يقول صاحب التفسير الواضح:" ولعل هؤلاء الناس يوم القيامة يحاولون الإنكار والتنصل، فيمنعهم الله من الإنكار ،ثم يُنطق ألسنتهم وأيديهم ،وأرجلهم بما اقترفوا قطعا لعذرهم ،وتنكيلا بهم،كل ذلك بسبب ما كانوا يعملونه يومئذ، فيوفيهم الله دينهم الحق، ويعطيهم جزاءهم كاملا، عادلا، لا يزيد على جريرتهم ولا ينقص."[١]

فدلالة تعبير السياق بـ "شهادة ألسنتهم " عليهم ،وكذلك "شهادة أيديهم وأرجلهم " تصوير لها بأنها كشخص له قدرة على إحقاق الحق وإبطال الباطل، أوهو: كناية ودلالة ،وإشارة ، إلى أن الألسنة أداة للزجر والشهادة ، وكناية عن التنكيل ، بهؤلاء الذين شهدوا بالزور في الدنيا ، فمنعهم الله – تعالى من الإنكار بشهادة أعضاءهم عليهم، ألسنتهم ، وأيديهم، وأرجلهم .

---

(١) ينظر: التفسير الواضح ،أ/ الحجازى محمد محمود، ٦٦٩/٢ ، نشر دار الجيل الجديد، بيروت، ط١٠ ،١٤١٣هـ .

٣ –وفي تعبير السياق القرآني عن "الألسنة" ووصفها بـ "الحداد"

قَالَ تَعَالَىٰ: " أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ ۚ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا " (الأحزاب: ١٩)

إذ وردت الآية الكريمة في سياق الحديث عن بيان صفات المنافقين، وما حدث منهم في غزوة الأحزاب من جبنهم، وخوفهم من لقاء المسلمين، وتحريض إخوانهم من المنافقين عن المشاركة في القتال مع النبي ﷺ هذا في حال خوفهم ، أما في حال أمنهم، فيطلقون ألسنتهم بالسوء والأذى، والسباب تجاه المؤمنين، فـ "الألسنة الحداد" التي عبربها السياق القرآني تصوير ودلالة ،وإشارة ، للتعبيرعن صورة ألسنة المنافقين الحادة ،التي تنطلق بالسوء تجاه المسلمين ،تشبيها لها بالحديد الذي يقطع الشيء الآخر، ويؤذيه.

يقول د/ سيد طنطاوى:" أي: أنهم عند الشدائد جبناء بخلاء، فإذا ما ذهب الخوف وحلّ الأمان، سلطوا عليكم ألسنتهم البذيئة، بالأذى والسوء، ورموكم بألسنة ماضية حادة ، تُؤّثر تأثير الحديد في الشيء، وارتفعت أصواتهم بعد أن كانوا إذا ما ذُكر القتال أمامهم، صار حالهم كحال المغشى عليه من الموت."[١]

(١) ينظر : التفسيرالوسيط ، د/سيد طنطاوى، ٣٤٠٦/١، نشر دار نهضة مصر للطباعة والنشر، والتوزيع ، الفجالة ، القاهرة ،ط أولى.

المبحث الثالث

جمالية التصوير البياني في التعبير بدلالة "اليد والأصابع" في القرآن الكريم

أولا: اليد

١ في تعبير السياق القرآني عن "اليد"

قَالَ تَعَالَىٰ: " يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ " (المائدة: ١١)

إذ وردت الآية الكريمة في سياق الحديث عن تذكير المؤمنين بنعم "الله" عليهم، ليشكروه بتقواهم وقوة إيمانهم، وحسن توكلهم عليه، إذ من نعم الله عليهم، أن دفع عنهم أذى المشركين الذين همّوا بقتلهم والاعتداء عليهم، والبطش بهم ، فردّ الله أذى المشركين عنهم، وهو ما عبّر عنه السياق بصورة "كف الأيدي" .

إذ لمّا كانت الأيد تباشر بالضرب والقتل وغيرها ، وهي تمنع الأذى عن الآخرين، عبّر بها السياق، لتصوير مشهد دفع أذى وضرر المشركين عن المؤمنين، بصورة حركية، محسوسة ،عبر عنها السياق بصورة الكناية المصورة لبسط الأيد،في قوله :" أن يبسطوا إليكم أيديهم"، "فكف أيديهم" ،إذ بسط اليد فيه دلالة على بسطها تجاه الآخرين للبطش بهم ، فالتعبيربـ (كف الأيدي) فيه دلالة وكناية ، وإشارة لضم اليد وكفها، ومنعها من البطش بالآخرين. فكانت الكناية مصوّرة للمعنى الحاصل مبالغة في التجسيم والتشخيص لهذه الصورة، فجاء المعنى مصوّرا بصورة الكناية ،ضمن تعداد نعمه على المؤمنين.

ويجوز: أن يكون التعبيربـ "بسط اليد ،وقبضها" مجازا مرسلا، علاقته السببية ،باعتبار أن "اليد" سببا في القوة والبطش، و"كف اليد "سببا في كف الأذى والضرر. وكلا الرأيين له وجاهته ويمكن الأخذ به، وإن كانت الصورة

أقوى في الدلالة على المعنى المقصود بالمجاز المرسل، إذ اليد سببا قويا في إلحاق الضرب والأذى.

يقول ابن عاشور:" و(بسط اليد) مجاز في البطش.... ،وأما (كف اليد) ، فهو مجاز عن الإعراض عن السوء خاصة."[1]

٢ –و في تعبير السياق القرآني عن "بسط أيدى ملائكة العذاب يوم القيامة"

قَالَ تَعَالَىٰ: "وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ " (الأنعام: ٩٣)

إذ وردت الآية الكريمة في سياق الحديث عن هول يوم القيامة، وهؤلاء الظالمون تستقبلهم ملائكة العذاب باسطو أيديهم لهم لتبشيرهم بالعذاب ، وأنه يستحيل عليهم إخراج أنفسهم من ضائقة عذاب الهون ، بسبب كفرهم وعصيانهم لرسلهم.

فجاء تعبير السياق بقوله :"والملائكة باسطوا أيديهم" كناية ودلالة عن " بسط أيدى" ملائكة العذاب لهم بطريق السخرية والتهكم، والاستهزاء، بأنهم هؤلاء الظالمين عاجزون عن الدفاع عن أنفسهم ،وعن الخروج من عذاب الهون الذي ينتظرهم .

ويجوز: أن يكون تشبيها تمثيليا، رسم فيه السياق مشهدا حسيا من مشاهد الآخرة، وهو مشهد استقبال ملائكة العذاب ،لهؤلاء الظالمين بالسخرية منهم والتهكم به ، وقد جاء التعبير فيه بصورة التشبيه التمثيلي لتصوير صورة حسية من مشاهد الآخرة وهي (صورة بسط أيدى ملائكة العذاب) مثلما تُبسط اليد للأذى والضرر، لتقريب المعنى والصورة ، ولتأكيد تقريرها في ذهن المتلقي؛ تنفيرا وتقبيحا من حالهم ، وتبكيتا لهم، لعجزهم عن الخروج من عذاب الهون ،أو الإفلات منه. وصورة التشبيه أليق بالمقام، لتناسبها مع المعنى الحاصل في نص السياق.

---

(١) ينظر : التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ١٣٨/٦.

٣ –وفي تعبير السياق القرآني عن" سقوط اليد في الأفواه"

قَالَ تَعَالَىٰ: " وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ " (الأعراف: ١٤٩)

إذ وردت الآية في سياق الحديث عن ندم وحسرة أصابت قوم "موسى" عليه السلام ، بعدما صنعوا عجلا ، يصدر صوتا كصوت البقر، ليتخذوه إلهًا لهم، فوجدوه لا ينفع ولا يضر، فندموا على ضلالهم وتابوا، ورجعوا إلى ربهم ،إثر هذا الذنب العظيم الذي اقترفوه.

وفي تعبير السياق بقوله: (ولما سقط في أيديهم) تصوير كنائي، عبّر فيه عن ندم وحسرة قوم موسى –عليه السلام، بصورة حسية متحركة، مؤثرة في النفوس ، وهي: صورة "سقوط أفواههم في أيديهم"، إذ الندم معنوي، محله القلب، ثم يظهر أثره عندما تسقط الأفواه في الأيدِ ، فالتعبير بـ "سقوط أفواههم في أيديهم" كناية ودلالة، وإشارة لصورة الندم والحسرة التي أصابتهم لضلالهم، فهو من تصوير المعنوي بصورة حسية، والصورة الحسية أفادت التشخيص والتجسيم ،للمبالغة القوية في التصوير، كما أفاد تحقيرهم وخسرانهم.

يقول د /سيد طنطاوى: **" وعبّر سبحانه عن شدة ندمهم ،بقوله تعالى" ولما سُقط في أيديهم" ،لأنه من اشتد ندمه وحسرته ،أن يعضّ يده غمّا، فتصير يده مسقوطا فيها، لأن فاهه قد وقع فيها، وكأن أصل الكلام: (ولمّا سقطت أفواههم في أيديهم) أي: ندموا أشد الندم".[1] ففيه حذف (للأفواه) للإيجاز؛ لأن الأفواه هي التي من**

---

(١) ينظر: التفسير الوسيط ، د/ سيد طنطاوى، ١/١٦٩٤ .

شأنها السقوط في اليد ،لقربها منها، ولأنها العضو الدال على قوة الندم والحسرة، عندما تسقط في اليد، كما بيّن السياق.

٤ –وفي تعبير السياق القرآني عن "اليد الصاغرة"

قَالَ تَعَالَىٰ: " قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ " (التوبة: ٢٩)

إذ وردت الآية الكريمة في سياق الحديث عن الكفار والمشركين، وأهل الكتاب (اليهود والنصارى)، الذين عاشوا في ظل حكم المسلمين وما وجب عليهم من دفع الجزية للمسلمين ،مقابل حمايتهم والدفاع عنهم ، فكانوا يدفعونها للمسلمين بأيديهم ،وهم يشعرون بذلتهم ومهانتهم، وقهرهم، إذ لم يدفعوها عن طيب نفس ورضا، مما يدل على كراهيتهم لدفعها، فأمر الله – تعالى بقتالهم حتى يدفعوها ، وهم صاغرون.

فتعبير النص القرآني بقوله :"حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون" ، وهو دفعهم الجزية بأيديهم عن قهر وكراهية، وذلة ومهانة، دلّل عليه التصوير بلفظ (يد)، وهي صورة حركية، محسوسة، تُشعرهم بالانكسار والذلة، والمهانة، والخضوع للمسلمين، فتعبيره بلفظ " يد " كناية ودلالة، وإشارة ، وتصوير، لحالة القهر والذل، والكراهية، التي أصابتهم، وهم يدفعون الجزية للمسلمين ،وقد جاء تصوير السياق بصورة الكناية ، لتصوير المعنوي في صورة حسية، للمبالغة القوية في تصوير مدى انكسارهم وخضوعهم ،وذلهم وقهرهم، بدليل تعقيبه بوصف الجملة الإسمية (وهم صاغرون) ، الدالة على ثبوتهم واستمرارهم على الصِغر والذِلة، والمهانة التي لحقتهم ،لذا أمر الله بقتالهم، وجاء التعبير بوصف اسم الفاعل" صاغرون"؛ لثبوتهم على هذا الوصف المُهين لحالهم ، واستسلامهم لدفع الجزية على هذا الحال.

وفي لسان العرب:" وقيل :(عن يد) ، أي: عن قهر وذل ،واستسلام، كما تقول: اليد في هذا لفلان، أي: الأمر النافذ لفلان."[(١)]

٥ –وفي تعبير السياق القرآني عن "بسط الكفين إلى الماء"

قَالَ تَعَالَىٰ: "لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ" (الرعد: ١٤)

إذ وردت الآية الكريمة في سياق التعبير عن حال المشركين، الذين يجعلون "لله" أندادا، فيعبدون الأصنام ويتقربون إليها ، ويعتقدون أنها تقربهم إلى الله يوم القيامة، مع إنها صمّاء، لا تنفع ولا تضر، وهذا يدل على حماقة وجهل المشركين، وفقدانهم لصوابهم . فأراد الله تعالى أن يضرب لهم مثلا، فبيّن لهم حقيقة أصنامهم، التي يعبدونها من دون الله، بعدم استجابتها لشيء من دعاء المشركين ، إذ مثّل السياق صورة عدم الاستجابة ممن يدعون غير الله تعالى، بصورة الماء الذي لا يستجيب للظمآن، عندما يبسط يده له، ويشير إليه من بعيد طلبا له، ولكن هيهات، فالماء لا يشعر، ولا يحس ،ولا يسعى للظمآن حتى يأتي إليه ، فكذلك الأصنام لا تستجيب للداعي، لأنها لا تنفع ،ولا تضر.

فتصوير السياق لذلك المعنى، بصورة "التشبيه التمثيلي"، تعبير عن هذه الصورة المعنوية بصورة حسية، متحركة ،مرئية، وهي صورة "بسط الكفين إلى الماء"، مما زاد المعنى وضوحا وبيانا في السياق، و لإيصال المعنى للمتلقي بعدم استجابة الأصنام لدعائهم،مؤكدا بهذه الصورة الحسية المعبرة عن المعنى المقصود ، بصورة "بسط الكفين إلى الماء" لثبوت وتأكيد عدم استجابة الماء لمن يدعوه ،فتحدث العظة والعبرة

---

(١) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ٤١٩/١٥، مادة: يدي .

في قلوب وعقول المخاطبين. كما يدل على خيبة وضلال وخسران ،ممن يدعو غير الله – تعالى .

يقول د/سيد طنطاوى:" والمقصود من الجملة الكريمة نفي استجابة الأصنام ،لما يطلبه المشركون منها نفيا قاطعا ،حيث شبّه – سبحانه حال هذه الآلهة الباطلة، المزيفة، عندما يطلب المشركون منها ،ما هم في حاجة إليه، بحال إنسان عطشان، ولكنه غبى أحمق ،لأنه يمد يده إلى الماء، طالبا منه أن يصل إلى فمه ، دون أن يتحرك هو إليه، فلا يصل إليه شيء من الماء، لأن الماء لا يسمع نداء من يناديه ، ففي هذه الجملة الكريمة تصوير بليغ، لخيبة وجهالة، من يتوجه بالعبادة والدعاء لغير الله تعالى"[1]

٦ –وفي تعبير السياق القرآني عن "اليد المغلولة"

قَالَ تَعَالَىٰ: " وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا "(الإسراء: ٢٩)

إذ وردت الآية الكريمة في سياق الحديث عن وسطية الإسلام ، ودعوته إلى الاعتدال في الإنفاق، دون بخل أو إسراف ، ولأن هذين الوصفين مذمومين ،نهي عنهما السياق القرآني بهذه الصورة في قوله: (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط) ليصور الوصفين المذمومين، المتضادين، بصورة محسوسة ، متحركة ،مرئية، وهي صورة (البخل) بـ "غُل اليدين إلى العنق"، وصورة (الإسراف)، بصورة التبذير التي نهي عنهما السياق، حتى لا يصيب صاحبهما لوم نفسه وحسرته.

ففي تصوير السياق القرآني لصورة اليد المغلولة إلى العنق ،كناية عن بخلها، أو (بسطها) دلالة وكناية عن التحذير من إسرافها، لأن اليد لمّا كانت مصدر العطاء

(١) ينظر: التفسير الوسيط، د/ سيد طنطاوى، ١/٢٣٧١.

والإمساك، صوّر بها الطرفين المذمومين ، فعبّر السياق عن البخل بصورة منفرة، إذ جعل صورة يد صاحبه مغلولة إلى العنق ،لا يستطع تحريكها للإعطاء بها ،مما يدل على عناءه في جلب مشقته لنفسه ، وكذلك عبّر عن الإسراف والتبذير، بـ "بسط اليد" ،وهي صورة منفرة أيضا ، فالعبد الذي يبسط يده بالإنفاق ولا يُبقى في يده شيئا من ماله ،يمكث حزينا ،نادما، متحسرا.

فالتعبير بصورة الكناية الرائعة المصوّرة لصورة النهي عن البخل، والإسراف، استخدمها السياق للتعبير عنها بـ"اليد المغلولة " "واليد المبسوطة كل البسط" ،تشنيعا وتنفيرا من هذه الصفة المنفرة ، للتشخيص والتجسيم ،لهيئة المعنوي في صورة حسية مصورة تصويرا دقيقا، مؤثرا في نفس المتلقي، إذ السياق بالكناية الرائعة ،قد رسم صورة حسية منفرة لصورة البخيل والمُبذر، فيكون أبلغ إقناع ،كما أفاد الإيجاز.

يقول صاحب كتاب من بلاغة القرآن مبينا دلالة التعبير بـ"اليد" ومدى تأثيرها في النفوس: " ألا ترى أن التعبير عن البخل بـ "اليد" المغلولة إلى العنق، فيه تصوير محسوس لهذه الخِلة المذمومة، في صورة قوية ،بغيضة، منفّرة، فهذه اليد التي غُلّت إلى العنق ،لا تستطيع أن تمتد، وهو بذلك يرسم صورة البخيل الذي لا تستطيع يده أن تمتد بإنفاق أو عطية ،والتعبير بـ "بسطها كل البسط"، يصور لك صورة هذا المبذر ،الذي لا يُبقي من ماله له على شيء، كهذا الذي يبسط يده ، فلا يُبقي بها شيء، وهكذا استطاعت الكناية أن تنقل المعنى قويا مؤثرا."[١] فالكناية عملت على تشخيص وتجسيم المعنوي في صورة حسية، تلقى قبولا في ذهن المتلقي، لتمكين وتأكيد المعنى في ذهنه، فينفر منها.

---

(١) ينظر: من بلاغة القرآن، أحمد البيلى، ١٧٣/١.

ويجوز : أن يكون تشبيها تمثيليا، رسم فيه السياق الصورة السابقة بكل دقائقها، لتقريب الصورة إلى ذهن المتلقي مؤكدا المعنى لثبوته وتقريره، وكلا من الكناية أو التشبيه رأي له وجاهته، وإن كانت الكناية أليق بالمقام.

يقول ابن عاشور:" وأما البلاغة ، فبتمثيل الشح والإمساك بـ "غل اليد إلى العنق"، وهو تمثيل مبني على تخيل اليد مصدرا للبذل والعطاء، وتخيل بسطها وغلّها شحا، وهو تخيل معروف لدى البلغاء والشعراء."(١)

٨ –وفي تعبير السياق القرآني عن "تقليب الكفين "

قَالَ تَعَالَىٰ: "وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا " (الكهف: ٤٢)

فقد وردت الآية الكريمة في سياق الحديث عن صاحب الجنتين، وما حكاه القرآن عنه من كفره بنعم "الله"، واغتراره بالمال والولد ،فكان عقابه أن أهلك الله له جنتيه ، وما فيهما من ثمر، فلّما أيقن ورأي جنتيه ، وما لحقهما من دمار وهلاك، ندم على ما بذله فيهما من مال وجهد، وتمنى أن لوكان مؤمنا بـ "الله"، ولم يُشرك به أحدا.

ففي تعبير السياق بالجملة الفعلية (يقلّب كفيه) ، والتعبير بدلالة (كف اليد) لتشكيل صورة كنائية، حركية، تتكفل بنقل مشاعر الندم، التي عاشها صاحب الجنتان، وهو يراهما هالكتين ، محترقتين بعد مناظرهما المبهجة بالثمار اليانعة، إذ التعبير بقوله: (يقلب كفيه) " بحركات الجسد حالة معروفة لدى الإنسان، على إثر الصدمات النفسية الحادة، إذ إن راحة اليد البشرية، تقدم أقوى الإشارات الصامتة،

---

(١) ينظر : التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٦٨/١٤.

للإطلاع على نفسية مستعمليها"،[١] بل إنها أبلغ من التعبير باللسان ،وكأن اللسان عاجز عن التعبير، "وفي الصورة الكنائية إيحاء لطيف، يناسب السياق حيث تُوحى حركة "تقليب اليدين "بـ "فراغ الكفين" ، بعد قبضهما على شئ"[٢] ، وكأن الرجل يعلن عن "الإفلاس والاستسلام بعد الغِنى والتحدي، كما تكشف هذه الصورة عن الضعف النفسي، للرجل المغرور، لكونه يعتمد على القيم المادية الزائلة ،بدلا من القيم الروحية الباقية ، وتحول في داخله من غرور النجاح، إلى أسف الفشل ،ومن الرفعة إلى الضِعة."[٣]

ففي تعبير السياق عن صورة الندم والحسرة (المعنوي) ،بصورة "تقليب الكفين" صورة حسية متحركة، مشهد يثير كوامن النفس الداخلية ،إذ "تقليب الكفين" كناية ودلالة ،وإشارة، لحالة الندم والحسرة، التي تصيب النادم، بصورة حسية ،بليغة ،ومؤثرة، مصورة للمعنى في نظم دقيق ،ولفظ معبر، مما أفاد التجسيم والتشخيص للصورة، كما أفاد الايجاز البليغ في رسم الصورة بدقة متناهية في النص.

يقول الإمام أبو السعود:" فأصبح يقلب كفيه ظهرا لبطن، وهو كناية عن الندم ،كأنه قيل: فأصبح يندم على ما أنفق فيها، أي : في عمارتها من المال."[٤]

---

(١) ينظر: لغة الجسد ،آلن بيز،" كيف تقرأ أراء الأخرين من خلال إيماءاتهم ، ت: سمير شيخانى/٣٥.

(٢) ينظر: الكناية فى القرآن الكريم ،د/أحمد فتحى رمضان /١٣٧، رسالة دكتوراة ،جامعة الموصل ،كلية الآداب ،١٩٩٥م.

(٣) ينظر: البنى والدلالات فى لغة القصص القرآنى، د/ عماد عبده يحى،(٣٢٥) ، رسالة دكتوراه ،جامعة الموصل ، كلية الآداب، ١٩٩٢م .

(٤) ينظر: تفسير أبو السعود، ٢٢٣/٥.

٩ –وفي تعبير السياق القرآني عن صورة الندم بـ "عض الظالم على يديه "

قَالَ تَعَالَىٰ: " وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا " (الفرقان: ٢٧)

إذ وردت الآية الكريمة في سياق الحديث عن تصوير حال الظالم ،وتصوير ندمه، وحسرته، على ما فرّط في حق الله تعالى بصورة الكناية الرائعة ،التي جاء التعبير فيها بقوله :"يعض الظالم على يديه"، وهو يعض أصابع يده ، والأصابع جزء من كل ،ففيه مجاز مرسل، أطلق الكل وأراد الجزء، ناهيك عن صورة الكناية المصورة لندم الظالم وحسرته ،إذ أفاد التصوير بالكناية، رسم المعنوي "الندم والحسرة"، في صورة حسية ،مرئية، ملموسة، وهي صورة عض اليدين ،ألما وحسرة، كما عبّرت هذه الحركة الجسدية (عض اليدين) عن هذا الندم المعنوي بصورة حسية للمبالغة، والتشخيص ، والتصوير في النص.

١٠ – وفي تعبير السياق القرآني عن دلالة "اليد "

قَالَ تَعَالَىٰ: " وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ " (ص: ٤٥)

إذ وردت الآية الكريمة في سياق الحديث عن ثناء الله – تعالى على أنبياءه، وما تميزوا به من حرص على طاعة الله وعبادته، والصبر على تحمل أذى المشركين من أقوامهم، وذكر السياق القرآني منهم: "إبراهيم، وإسحق، ويعقوب" عليهم السلام الذين وصفهم سياق الآية، بالقوة في الدين والطاعة والعبادة لله ، فضلا عن قوة البصيرة ونفاذ الفكر.

لذا جاء تعبير السياق ووصفه لهم بقوله: (أولى الأيدي) معبرا عن المعنى الدقيق بأسلوب بلاغي مؤثر في النفوس، فعبر عن القوة في الدين بـ "اليد" ، إذ "اليد" تدل على القوة، و هي سبب فيها، فهي مصدر للعمل والحركة، فعبّر السياق عنها بقوة اليد، تعبيرا مجازيا، علاقته السببية .

يقول الرازي :" واعلم أن اليد آلة لأكثر الأعمال ، والبصر آلة لأقوى الإدراكات، فحسُن التعبير عن العمل باليد، وعن الإدراك بالبصر، إذا عرفت هذا ،فتقول: النفس الناطقة الإنسانية لها قوتان ،"عاملة وعالمة" أما القوة العاملة، فأشرف ما يصدر عنها طاعة الله ، وأما القوة العالمة ،فأشرف ما يصدر عنها معرفة الله."(١)

يقول ابن منظور :" والعرب تقول :ما لي به يد ، أي: مالي به قوة، وما لي به يدان، وما لهم بذلك أيد أي : قوة."(٢)

قَالَ تَعَالَىٰ:" قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ " وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ " (التوبة :١٤، ١٥)

إذ التعبير بالأيد في قوله: (يعذبهم الله بأيديكم)جاء على المجاز المرسل ، لعلاقة السببية، فالأيد سببا في إلحاق العذاب بهم وخزيهم ، ونصرة المسلمين عليهم ،وفي التصوير تشخيص وتجسيم.

يقول البقاعي:"(قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم) لمّا أمر الله تعالى بالقتال وكان مكرهم إلى النفوس على كل حال ، شرع يبين الأسباب الحاملة على التواني عن قتالهم ، وحصرها في الخشية والعاطفة ، فقال بادئا بالخشية ؛ لأنها السبب الأعظم في ترك المصادمة ،مُنكرا عليهم ، موّبخا لهم، ليكون أبلغ في الحث على قتالهم، منبها على أن التواني عنهم مصحح للوصف بالجُبن ورقة الدين ، بقوله: (أتخشونهم).....، ولما بكّت في التواني عنهم وعدهم بما يزيل خشيتهم منه ، بل

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب ، الرازى، ٣٨١٧/١.

(٢) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ٤١٩/١٥.

يُوجب إقدامهم عليهم ورغبتهم فيهم، فقال: (بأيديكم) أي: بأن تقتلوهم وتأسروهم، وتهزموهم ." (١) وعليه فالتعبير بـ (الأيد) على المجاز؛ لأنها سبب في إلحاق الهزيمة والأسر، والقتل لهم والتعبير بقوله: (ويشف صدور قوم مؤمنين) أسند فيه الشفاء للصدور، والشفاء محله القلب ، والصدور محل ومكان لحلول القلب فيها، فإسناد الشفاء للمحل وليس للحال ، فيه من المبالغة في وقوع الشفاء في القلب ، فيتعداه لمحله (الصدور) للتصوير المجازي ،الذي أفاد المبالغة في التشخيص والتجسيم.

وعطف عليه قوله: (ويذهب غيظ قلوبهم) إذ أسند الغيظ للقلوب ؛ لأن الغيظ يحصل في القلب ، فالقلب محل ومكان لحلول المعنوي فيه .

يقول البقاعي:

" ولمّا كان الشفاء قد لا يُراد به الكمال ، أتبعه تحقيقا لكماله، بقوله:(ويذهب غيظ قلوبهم) أي : قد لا يُراد بها من اللذة ضد مالقوه منهم من المكروه ،وينفي عنها من الألم بفعل من يريد –سبحانه من أعدائهم وذل الباقين ما كان قد برح بها، ولقد وفى – سبحانه بما وعد به، فكانت الآية من جواهر الدلائل." (٢)

ثانيا: (الأصابع)

١– و في تعبير السياق القرآني عن "الأصابع "

قال تعالى:" أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِۚ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ "(البقرة: ١٩)

---

(١) ينظر : نظم الدرر ، البقاعى ، م ١٨ ، ج٢٧٩/١٣.

(٢) نظم الدرر، البقاعى ، م١٨، ج٢٨٠/١٣.

إذ وردت الآية في سياق الحديث عن ضرب المثل المحسوس والمشاهد، لتبرز فيه صفات المنافقين وما يتسموا به من صفات الخوف والجبن، بتشبيههم بالشخص الذي يضع أنامله في أذنيه، خوفا من الصواعق، وأصوات الرعد والبرق في السماء ،وإما أن يكون مجازا مرسلا، علاقته: الكلية، أطلق الكل (الأصابع)، وأراد الجزء (الأنامل)، للمبالغة والإيجاز، إذ يستحيل دخول الأصابع في الآذان، فتعبير السياق عن صورة خوفهم وجبنهم ، بصورة محسوسة وضع (الأصابع في الآذان) ، إذ عملت على إيصال المعنى، لذهن المتلقي بصورة حسية، ففيها من التجسيم والتشخيص، لتصوير المعنوي ،جبنهم وخوفهم، بصورة حسية للمبالغة والايجاز. والمجاز أليق بالمقام ، لتناسب المعنى مع الصورة الحاصلة في السياق ، فالتصوير بالمجاز المرسل مناسب لاستحالة دخول الأصابع في الآذان، وإنما الأنامل.

يقول البقاعي:" يجعلون أصابعهم" أي: بعضها ،ولو قدروا لحشوا الكل ،لشدة خوفهم."[1]

٢-وفي تعبير السياق القرآني بـ"عض الأنامل"

قَالَ تَعَالَىٰ: " وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ " (آل عمران: ١١٩)

وردت الآية الكريمة في سياق الحديث عن تصوير صفات المنافقين، وما اتصفوا به من حقد وغيظ يملأ قلوبهم وصدورهم من ظهور المسلمين أمامهم، وكثرتهم ،وقوتهم، ومن شدة جبن هؤلاء المنافقين، أنهم يُظهرون الإيمان والإسلام أمام المؤمنين ،

---

(١) ينظر: نظم الدررفى تناسب الآيات والسور، البقاعى، ٤٧/١ ،نشر دار الكتاب الإسلامى ،القاهرة.

ويبطنون الضلال والكفر من خلفهم .

فهذه الصورة عبّر عنها السياق بـ (عض الأنامل)، وهي صورة حسية متحركة ،مرئية، تعمل على إيصال معان كثيرة ، لذهن المتلقي من تصوير غيظ وحنق، وحقد المنافقين للمسلمين، بصورة عض أناملهم، كما تعمل على تصوير وتشخيص ما يدور في صدور المنافقين ،وقلوبهم تجاه المسلمين ، بصورة حسية ، صورة (الكناية) الرائعة، التي صوّرت مشاعر الحقد والغيظ، فظهرت صورة (عض الأنامل)، كناية ودلالة عن شدة غيظهم ، وحقدهم على المسلمين بالتشخيص والتجسيم، ناهيك عن الايجاز .

يقول ابن عاشور مبينا دلالة التعبير بـ "عض الأنامل" يقول: " "وعض الأنامل" : كناية عن شدة الغيظ والتحسر ،وإن لم يكن عض الأنامل محسوسا، ولكن كنّى به عن شدة لازمه في المتعارف، فإن الإنسان إذا اضطرب باطنه من الانفعال، صدرت عنه أفعال تناسب ذلك الانفعال."[1]

٣ –وفي تعبير السياق القرآني عن "جعل الأصابع في الآذان"

قَالَ تَعَالَىٰ: " وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا " (نوح: ٧)

إذ وردت الآية الكريمة في سياق الحديث عن تصوير تكبر قوم "نوح" عليه السلام وإعراضهم عن الحق ،عندما دعاهم للإيمان بـ "الله " ، فكلما كان يدعوهم ،ويُصرّ على دعوتهم، وهدايتهم، أصروا على رفضهم ، لدعوة نبيهم وتكبروا على الحق والإيمان.

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٠٢/٣.

فجاء السياق القرآني مصورا رفضهم وعنادهم ،لدعوة نبيهم ، بصورة حسية دقيقة ،وهي صورة (جعل الأصابع في الآذان) ،حتى لا يصل إلى أسماعهم شيئا من دعوة نبيهم، بصورة بليغة، دقيقة، ساهمت في رسم صورة عنادهم، وإعراضهم عن الحق والإيمان، بأدق تعبير، وأبلغ تصوير، وأوجز لفظ، فكان التعبير بقوله :"جعلوا أصابعهم في آذانهم" كناية ودلالة ، وإشارة لبيان قوة إعراضهم، وعدم قبولهم للحق والإيمان ، كما أفادت التشخيص والتجسيم ، للمعنوي في صورة حسية مؤكدة بـ"الأصابع".

كما أن التعبير بـ"الأصابع" مجازي؛ لأنه لم يرد الأصابع كلها ،إذ يستحيل دخول الأصابع في الآذان، وإنما أراد الأنامل، مبالغة.

يقول الشنقيطي مبينا دلالة التعبير بـ "جعل الأصابع في الآذان":

"فقوله تعالى:" جعلوا أصابعهم في آذانهم" ،"واستغشوا ثيابهم" : يدل دلالة واضحة على شدة بُغضهم وكراهتهم ،لما يدعوهم إليه "نوح" عليه السلام ، فهو واضح في أنهم كَبُرَ عليهم ما يدعوهم إليه، من توحيد الله والإيمان به."[1]

(١) ينظر :أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، م/ محمد الأمين بن عبد القادر الشنقيطى، ٦٢/٧، نشر : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.

المبحث الرابع

جمالية التصوير البياني في التعبير بدلالة "القلب والأرجل" في القرآن الكريم

أولا: القلب

١ –في تعبير السياق القرآني عن القلوب القاسية

قَالَ تَعَالَىٰ: " ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ " (البقرة: ٧٤)

إذ وردت الآية في سياق الحديث عن جحود وضلال بنى إسرائيل، وتصوير مدى كفرهم، وعنادهم وبيان قسوة قلوبهم، ورفضهم للحق من ظهور للمعجزات ،حسية أمام أعينهم، ومنها إحياء الموتى، بعد ذبحهم للبقرة ،ومع ذلك لم يرجعوا عن كفرهم وعنادهم، لتحجر قلوبهم ، وقسوتها ، فالقلوب القاسية، لا تقبل موعظة ولا نُصح ، ولا إرشاد.

فتعبير السياق بتصوير هيئة القلوب القاسية ، التي لا تقبل موعظة ولا نصح، مع ظهور المعجزات أمامهم ، بهيئة الحجارة الصماء التي لا يُرجى منها نفع، "تشبيها تمثيليا"، لهذه القلوب القاسية وتحجرها بالحجارة الصماء ، من أجل الدلالة النص القرآني على رسم صورة رفض وعناد، وجحود بنى إسرائيل للحق والإيمان ،وأنهم لم يستجيبوا لأية نصح أو إرشاد، فقلوبهم قاسية، غليظة، متحجرة، صوّرها السياق بصورة الحجارة الصلبة، لتصوير قسوتهم وكفرهم، وعناد قلوبهم، بهذه الصورة الحسية لتقريب المعنى، وهي القسوة ، وعدم تقبلهم للاعتراف بنور الحق والإيمان، مما حدث أمامهم من إحياء للموتى، ولكن لمّا كان جحودهم وقسوتهم، وعنادهم ،كان

واضحا بصورة قاسية، وظاهرة، شبهه بالحجارة الصماء، لبيان صورة الجحود والعناد ، والقسوة الخالصة، فقد رسم السياق صورة (المعنوي)، العناد والكفر ، والجحود ، بهذه الصورة الحسية، (الحجارة الصلبة المتحجرة) للتشخيص والتجسيم .

يقول د/ سيد طنطاوى:" ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة": "بيان لما طرأ على قلوب بنى إسرائيل من بُعد عن الاعتبار، وعدم تأثر بالعظات ، وإعراض عن الإنابة والإذعان لآيات الله ، وتحلل من المواثيق التي أقروا بها على أنفسهم."[١]

٣ –وفي تعبير السياق القرآني عن "القلوب المطمئنة"

قَالَ تَعَالَىٰ: " ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ " (الرعد: ٢٨)

إذ وردت الآية الكريمة في سياق الحديث عن صفات المؤمنين ، المنيبين إليه تعالى، إذ من صفاتهم أنهم يملكون قلوبا مطمئنة، تشعر بالسكينة والهدوء، والراحة، لذكرهم المستمر لله تعالى، فهم دائمون لذكر الله باللسان والقلب، وقراءة القرآن ،وطاعة الله، إذ ذكر الله تعالى، وطاعته، ومراقبة العبد لنفسه في السر، والعلن ، ثمرته أن صاحبه يمتلك قلبا مطمئنا، إذ ترتفع لديه روحانيات دينه، فيتعلق قلبه به سبحانه فحسب.

فتعبير السياق بقوله: (وتطمئن قلوبهم بذكر الله) كناية ودلالة، وإشارة، وبيان، لرسم صورة السكينة والإيناس ، واطمئنان القلب بذكر الله.

يقول القرطبى:" وتطمئن قلوبهم بذكر الله" أي: "تسكن وتستأنس بتوحيد الله،

---

(١) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، د/ محمد سيد طنطاوى ،١٢٤/١ .

فتطمئن."[1]

٣ –وفي تعبير السياق القرآني عن "تقوى القلوب"

قَالَ تَعَالَىٰ:" ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ " (الحج: ٣٢)

وردت الآية الكريمة في سياق الحديث عن حث المسلمين على تعظيم شعائر دين الله، واحترامه، والالتزام بأوامره من" طاعات وعبادات"، واجتناب لنواهيه، بحيث يشعر صاحب القلب التقى، بهيبة ووقار، وخشوع، وتفكر، لهذا القلب الذي يؤدى شعائر هذا الدين القويم، فلا ينشغل قلبه بملذات الدنيا، وشهواتها ،عن تعظيم شعائر الله، وهذا لا يصدر إلا من أصحاب القلوب الورعة، التقية ،النقية.

فتعبير السياق القرآني بقوله:" تقوى القلوب" كناية ودلالة ، وإشارة ، لتصوير الصفاء والنقاء، والورع، والتقوى، والسكينة ، التي اتسمت بها القلوب، فاستحقت أن تُوصف بـ التقية المطمئنة.

يقول الإمام أبو السعود مبينا أثر القلوب "النقية ،التقية ،المطمئنة" يقول : "فإن تعظيم شعائر الله من تقوى القلوب، أي: من أفعال ذوي تقوى القلوب.....،أو فإن تعظيمها ناشئ من تقوى القلوب ، وتخصيصها بالإضافة ،لأنها مراكز التقوى، التي إذا ثبتت فيها، وتمكنت ظهر أثرها في سائر الأعضاء."[2]

---

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن المسمى (تفسير القرطبي)، م/ محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى، ٣١٥/٩ ، نشر :دار الكتب المصرية – القاهرة– ت: أحمد البردونى،وإبراهيم أطفيش.

(٢) ينظر: تفسير أبو السعود، ت: محمد بن محمد بن الهادى أبو السعود، ١٥٦/٦، نشر: دار إحياء التراث العربى ،بيروت.

٤ –وفي تعبير السياق القرآني عن دلالة "تقلب القلوب والأبصار"

قَالَ تَعَالَىٰ: "رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ " (النور: ٣٧)

وردت الآية الكريمة في سياق الحديث عن صفات المؤمنين الذين يعمرون مساجد الله، إذ ذكر من بيان صفاتهم، أنهم يُعدّون العُدّة ليوم الحساب، فيُكثرون من الأعمال الصالحة في الدنيا ،تقربا إلى الله، وخوفا من فزع وهول يوم القيامة، الذي تضطرب فيه القلوب والأبصار، لشدة هول هذا اليوم، وهذه هي القلوب المتقلبة في الأعمال الصالحة.

فتعبير السياق بقوله: (تتقلب فيه القلوب والأبصار) كناية ودلالة ، وإشارة ، لتصوير اضطراب ورهبة القلوب المؤمنة، وخوفها، وفزعها من هول يوم القيامة، فهي تتقلب في أعمالها الصالحة، تحسبا لذلك اليوم. ولا شك أن الكناية الرائعة قد صوّرت المعنوي في صورة حسية، وهي التقلب للتشخيص والتجسيم.

يقول ابن عاشور:" (وتقلب القلوب والأبصار): اضطرابها عن موضعها من الخوف والوجل ،كما يتقلب المرء في مكانه ، والمقصود من خوفه، العمل لِما فيه الفلاح يومئذ، كما يدل عليه. "[1]

٥– وفي تعبير السياق القرآني عن "بلوغ القلوب الحناجر"

قَالَ تَعَالَىٰ: " وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا " (الأحزاب: ١٠)

وردت الآية الكريمة في سياق الحديث عن بيان حال المؤمنين في غزوة الأحزاب، عندما أحاط بهم العدو من أمامهم وخلفهم ، فشعروا باليأس والخوف، والقلق،

---

(١) ينظر : التحرير والتنوير، ابن عاشور ، ج٢٤٩/١٨.

والتوتر من عدم نصرهم، فجاء تعبير السياق بتصوير شعور المؤمنين وإحساسهم ، بالخوف والقلق، والظن ،ووصف قلوبهم بـ"بلوغها الحناجر"، أي: أصابهم القلق والاضطراب ، والخوف، حتى كادت تصل قلوبهم للحناجر ، ثم إلى الأفواه .

فتعبير السياق بقوله: "بلغت القلوب الحناجر" تعبير مجازى، كناية ودلالة، وإشارة قوية ،وواضحة، لتصوير حالة الرهبة والخوف ،والقلق ،والاضطراب ،التي أصابت المؤمنين –آنذاك

يقول د/أحمد البيلي:" ألا ترى أن هذا الوصف الدقيق لنفسية المؤمنين ، وقد أحيط بهم ، وهذا الوصف المُوحي المُصوّر، المؤذن بأن اليأس من النجاة، كاد يستولي على النفوس."[١]

ويلحظ هنا أن الانفعال الداخلي (الخوف)، قد انعكس على المظهر الخارجي، الذي هو ميلان البصر وزيغه، لتتجانس فيه الحركة الداخلية في ربقة واحدة مع الحركة الخارجية، ومن ثم تكتسب الصورة الحركية خطورتها الفنية، من حيث الدلالة على أدق العمليات النفسية، عند المؤمنين في ذلك الموقف العصيب ،وبعد ذلك ينتقل إلى التصوير الكنائي الداخلي، ليرسم صورة حركات القلوب ،وبلوغها الحناجر في محاولتها للانتقال من مكانها (الصدور) ،وصعودها إلى الحناجر، حتى كادت أن تخرج من الأفواه.

وهذا التعبير الكنائي القائم فيه على التعبير بالفعل (بلغت) ،" تمثيل لشدة اضطراب القلوب من الفزع والهلع، حتى كأنها لاضطرابها، تتجاوز مقارها ، وترتفع طالبة الخروج من الصدور، فإذا بلغت الحناجر، لم تستطع تجاوزها من الضيق."[٢] وتكمن

(١) ينظر: من بلاغة القرآن، د/أحمد البيلى، ٢٤٨/١

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٨٠/٢١.

جمالية هذه الصورة الحركية أنها تبين "الإحساسات الداخلية، التي لا يشعر بها إلا الخائف المذعور."[١] والأليق بالمقام التعبير بالصورة الكنائية، المصورة للمعنى الداخلي والخارجي لحالة القلق والاضطراب التي أصابت المؤمنين.

٦ –وفي تعبير السياق القرآني عن دلالة "القلب المتكبر، الجبار"

قَالَ تَعَالَىٰ: " ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ " (غافر: ٣٥)

إذ وردت الآية الكريمة في سياق الحديث عن موقف الأمم السابقة، من دعوة رسلهم لهم لتوحيد الله بالعبادة، ومقابلتهم ذلك بكفرهم وعصيانهم ،وتكذيبهم ، وكثرة جدالهم بدون علم، وهذا لا يحدث إلا من القلوب المتجبرة المتكبرة بعصيانها ، وتكبرها على الحق والإيمان، ولأن القلب ملك الأعضاء ،فإنه إذا امتلأ بالتكبر والتجبر، والقسوة، ظهر ذلك أثره على بقية الأعضاء ،لذا عبر به دون سائر الأعضاء. ففي الوصف تعبير كنائي، أفاد التشخيص والتجسيم ،لكل ما هو حاصل في القلب من أوصاف تلائم المعنى المقصود المشار إليه في السياق.

يقول النسفي:

" وإنما وُصف القلب بالتكبر، والتجبر؛ لأنه منبعهما."[٢]

---

(١) ينظر : القرآن وعلم النفس، د/ جمال ماضي أبو العزائم ، ندوة علم النفس والاسلام ، ص(٢١)، فقد أثبتت الأبحاث العلمية في مجال علم النفس : أن القلب أثناء الخوف الشديد ، تزداد نبضاته ،ويكثر تدفق الدم إليه ، مما يزد في حجمه ، ويجعله يقترب من القصبة الهوائية، حيث يوجد القلب من الوجهة التشريحية، تحت شعب القصبة الهوائية ،وهذه التغييرات الفسيولوجية ،لا يمكن ملاحظتها إلا من قبل الشخص الخائف.

(٢) ينظر: تفسير النسفي ،أبو البركات عبد الله حافظ النسفى، ٧٤/٤، نشر : دار الكلم الطيب ،بيروت، ط أولى،١٤١٩هـ –١٩٩٨م.

ويقول الصابونى:" أي: كما ختم على قلوب هؤلاء المجادلين ، كذلك يختم الضلال على قلب كل متكبر عن الإيمان، متجبر على العباد ،حتى لا يعقل الرشاد ، ولا يقبل الحق، وإنما وُصف القلب بالتكبر، والجبروت ،لكونه مركزهما ومنبعهما، وهو سلطان الأعضاء، فمتى فسد فسدت. "(١)

فتعبير السياق ووصفه للقلب بـ "التكبر والتجبر" في قوله: (متجبر جبار) كناية ودلالة، وإشارة ، لفساد قلوبهم بسبب كفرهم، وعنادهم، وضلالهم ،وتكذيبهم، وكثرة جدالهم، مما يدل على انتقاء النص القرآني للوصف المناسب ،لحال المخاطبين به ،بدقة متناهية وروعة تصوير . ناهيك عن مجئ الوصف (جبّار) على وزن (فعّال) ، للمبالغة في تصوير القلوب الجبارة المتكبرة.

٧ –وفي تعبير السياق القرآني عن وصف القلوب بـ "المقفلة"

قَالَ تَعَالَىٰ:" أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ "(محمد: ٢٤)

إذ وردت الآية الكريمة في سياق الحديث عن حال المنافقين وما اتصفوا به من إفساد في الأرض، وجبنهم عند مواجهة المسلمين، وخداعهم لهم، وما فعلوا ذلك إلا لقسوة قلوبهم ، وإغلاقها عن الحق، وعدم تقبلها وتدبرها لآيات القرآن الكريم عند سماعه، فلا ينفع معها موعظة ، ولا نصح ، ولا تدبر، وهذه هي حال القلوب المغلقة (المقفلة).

فتعبير النص القرآني ووصفه للقلوب بهذا الوصف:"أم على قلوب أقفالها" دلالة وكناية، وإشارة لقسوتها وعدم تقبلها، لأنوار الحق وآياته، فالكناية المصوّرة رسمت صورة القلوب المغلقة ،التي لا تقبل أية موعظة أو نصح ،أو تدبر، للمبالغة في تصوير قسوتها وإغلاق أبواب تدبرها.

---

(١) صفوة التفاسير ،الصابونى، ١٥٢/٣

ويجوز: أن يكون الوصف استعارة مكنية؛ إذ شبّه السياق القلوب القاسية ، بالأبواب المغلقة بالأقفال، ثم حذف الأبواب ،ورمز إليها بشيء من لوازمها ،وهي (الأقفال)، لتشخيص وتجسيم هذه القلوب القاسية، وعدم تقبلها للهداية والإيمان ، بهذه الصورة الحسية، وهذا مما يدل على دقة وجمال السياق القرآني في انتقاءه للفظ المناسب، المعبر عن المعنى الدقيق، بأوجز عبارة ، وأدق تعبير، وأجمل تصوير.

والتصوير بالاستعارة أليق بالمقام ؛ لتناسبه مع المعنى ،إذ جعل للقلوب أقفالا، كما تقفل الأبواب بها، تسجيلا عليهم بامتناع دخول الإيمان قلوبهم، لكفرهم ونفاقهم ،كما يمنع الدخول من الأبواب، لإغلاقها بالأقفال.

يقول د/ سيد طنطاوى: "قوله تعالى :"أم على قلوب أقفالها" أي: بل على قلوب هؤلاء المنافقين أقفالها، التي حالت بينهم وبين التدبر، والأقفال جمع "قُفل" بضم ، فسكون وهو الآلة التي تقفل بها الأبواب ،وما يشبهها، والمراد: التسجيل عليهم بأن قلوبهم مغلقة، لا يدخلها الإيمان، ولا يخرج منها الكفر والنفاق."[١]

٨ –وفي تعبير السياق القرآني عن دلالة القلب "المتذكر، المتعظ،الواعي"

قَالَ تَعَالَىٰ: " إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ " (ق: ٣٧)

إذ وردت الآية الكريمة في سياق الحديث عن حث الناس لأخذ العبرة والعظة، مما حدث للأمم السابقة من هلاك وعذاب بسبب كفرهم ،حتى يؤمنوا بـ"الله " وبـ" رسوله"، فالذي يتعظ ويعتبر، هو الذي يملك قلبا واعيا، متذكرا، أي: عقلا مدركا ، يعرف الحق من الباطل، فيؤمن بالله، ويصدّ ق برسوله في كل ما يبلّغه عن ربه، ولا يفعل ذلك إلا صاحب القلب المتذكر، القلب الواعي ، المتعظ.

---

(١) ينظر: التفسير الوسيط، د/ سيد طنطاوى، ٣٨٩٥/١ .

ففي تشبيه السياق لعدم تذكر الناس وعدم أخذهم العبرة، مما حدث للأمم السابقة، بتشبيه قلوبهم غير المتذكرة بالجماد الذي لا يعِي ولا يفهم، (تشبيها ضمنيا) ، رسم صورة واضحة وقوية، للقلب المتعظ الواعي المتذكر، بأدق تعبير، وأبلغ بيان.

يقول صاحب اللباب موضحا معنى "القلب الواعي": "قيل: قلب واع ، وذلك لأن من لا يتذكر ، كأنه لا قلب له ،ومنه أُوْلَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ (الأعراف: ١٧٩) ، أي: هم كالجماد، قَالَ تَعَالَىٰ: "كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ" (المنافقون: ٤) ،أي: لهم صور، وليس لهم قلب ،ولا لسان للشكر."[١]

٩ –وفي تعبير السياق القرآني عن دلالة "القلوب الواجفة "

يقول تعالى"قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ " (النازعات: ٨)إذ وردت الآية في سياق الحديث عن حال المنكرين للبعث يوم القيامة، ينتابهم الخوف والوجل، والقلق، والاضطراب؛ فتتحرك قلوبهم، وترتجف من شدة هول يوم القيامة وخوفهم من البعث بعد الموت، إذ إنهم كفروا بـ "الله"، وبـ "رسوله"، وأنكروا قدرته تعالى على إحياء الموتى من قبورهم، للبعث والحساب ، فارتجفت قلوبهم، واضطربت من العقاب الذي ينتظرهم، وهذه هي حال القلوب (الواجفة) الخائفة.

ففي تعبير السياق بدلالة وصف القلوب بـ "الواجفة"، أي: الخائفة المرتجفة ،المضطربة، مما سيحدث من العقاب لها، دلالة صريحة ، وثابتة على استحقاق هذه القلوب لهذا الوصف المناسب لفعلهم، وهذا من تمام بلاغة السياق القرآني البليغ ،الذي عبّر بهذا الوصف الدقيق للقلوب المناسب لحالها.

---

(١) ينظر: اللباب فى علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين النعمانى، ت: عادل أحمد وعلى محمد معوض، ٤٦/١٨ .

يقول البغوى: "قلوب يؤمئذ واجفة" أي: خائفة، قلقة، مضطربة. "(١)

ثانيا: الأرجل

١ -في تعبير السياق القرآني عن دلالة التعبير بـ "ضرب الأرجل"

قال تعالى :"وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ " (النور: ٣١)

إذ وردت الآية في سياق الحديث عن إرشاد المؤمنات ،لطريق العفة والحياء، والوقار، فنهاهن السياق عن "الضرب بالأرجل"، خوفا عليهن من إحداث صوتا أو رنينا، فيلتفت نظر الرجال إليهن، فينتبهوا لزينتهن ، مما يؤدى لانتشار الفواحش والفساد في المجتمع.

وفي تعبير السياق بنهي النساء عن "الضرب بـ الأرجل"، للتنبيه بالابتعاد عن كل ما يدعو إلى الفساد والفتنة في المجتمع ،عن طريق الإشارة بدلالة الضرب بـ "الأرجل"، فقوله: "ولا يضربن بأرجلهن"، دلالة وكناية ، وإشارة لنهي المرأة عن كل ما يدعو للزينة والتكلف، الملفت للنظر ، فتنتشر الفتن ، بطريق الكناية المصورة، للمعنى المقصود في السياق.

يقول د/ سيد طنطاوى مبينا دلالة التعبير بـ "ضرب الأرجل" :"فالمقصود من الجملة الكريمة نهي المرأة المسلمة، عن استعمال أي حركة أو فعل من شأنه إثارة الشهوة والفتنة، كالمشية المتكلفة، والتعطر المُلفت للنظر، وما إلى ذلك من ألوان التصنع الذي من شأنه تهييج الغرائز."(٢)

---

(١) ينظر: تفسيرالبغوى، أبو الحسن بن الفراء البغوى، ٢٠٦/٥، نشر دار إحياء التراث العربى ،بيروت.

(٢) ينظر: التفسير الوسيط، د/ محمد سيد طنطاوى، ٣٠٧٤/١.

٣- وفي تعبير السياق القرآني عن أخذ ملائكة العذاب للمجرمين بـ "النواصي والأقدام"

يقول تعالى:"يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ " (الرحمن: ٤١)

إذ وردت الآية الكريمة في سياق الحديث عن بيان عذاب المجرمين، وسوق ملائكة العذاب لهم إلى جهنم فصوّر هيئتهم وهم يأخذونهم بـ "النواصي والأقدام ، وهي طريقة تُنبئ عن مصيرهم المحتوم ، كما أنها صورة منفرة لشأنهم ، تحقيرا ، وإهانة لهم .

يقول الشيخ الشعراوي: "فهذا موقف من مواقف القيامة، حيث تعرف ملائكة العذاب المجرمين بعلامات مميزة، فأهل الإجرام يُعرفون (بسيماهم) أي: بعلامتهم، باسوداد وجوههم، فيأخذونهم من نواصيهم ،أي: شعر مقدمة الرأس يجمعونها مع الأقدام، ثم يُلقون بهم في جهنم والعياذ بالله، وهذا الأخذ فيه إذلال وإهانة، فضلا عن العذاب؛ لأن الناصية محل عِزة الإنسان وكرامته. "(١)

ويقول البغوي: فقوله: "(سيمِاهم): المراد بها سواد الوجوه ، وزرقة العيون(٢)"، فهو تعبير كنائي صّور فيه السياق ، صورة سوق ملائكة العذاب ، لهؤلاء المجرمين بصورة الذلة والمهانة، مسودة وجوههم، بصورة مَنْ يأخذ شخصا مضموما أقدامه إلى ناصيته، فيلقيه في النار،وهي صورة قبيحة ، ومنفرة تدعو إلى الخوف والهلع، وإلقاء المهابة في نفوس المخاطبين، كما أنها صورة متضمنة لتصوير القبح في المنظر.

و يقول أيضا: "حيث تُجعل الأقدام مضمومة إلى النواصي من خلف ويُلقون في النار(٣)".

---

(١) ينظر: تفسير الشعراوى/١٤٨٣٣.

(٢) ينظر: تفسير البغوى/٤٥٠.

(٣) نفسه /٤٥٠.

المبحث الخامس

جمالية التعبير بدلالة الأعضاء المختلفة

وتتضمن تعبير السياق بـ "العقِب، تولية الأدبار، الصدور، وسم الأنف ، الأجسام ، النأي بالجانب، الأذن، الرقاب ، الناصية، البطون، الأفواه والقلوب، ، (الجِباه ،الجُنوب، الظُهور)."

أولا: التعبير بالعقِب

(العَقِب) [1]

يقول تعالى: " وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٤٣﴾ (البقرة: ١٤٣)

ورد في السياق التعبير بقوله : (ممن ينقلب على عقبيه) ،إذ التعبير بهذه الحركة على اختلاف تشكيلها اللغوى هي تشبيه وتمثيل ،ودلالة ، للتعبيرعن الارتداد المعنوي والرجوع من الإيمان إلى الكفر،بهذه الحركة الحسية، التي عبر عنها السياق بـ" الارتداد على العقِب"، فهي تُلقى في النفس حركة حسية لرجل يرتد على أعقابه إلى الوراء في خطوات متغيرة ، مضطربة، بدلا من أن يمشي إلى الأمام مشية مستقيمة.

ولقد عبر / سيد قطب بذوقه الناقد عن جمالية حركة الانقلاب على الأعقاب ودلالتها التعبيرية فقال: "وفي التعبير تصوير حسي للارتداد، فهذه الحركة الحسية في الانقلاب تجسّم معنى الارتداد عن العقيدة، كأنه منظر مشهود، والمقصود

---

(١) آل عمران (١٤٤)، الأنعام (٧١)، المائدة (٢١)، المؤمنون (٦٦)، محمد (٢٥).

أصلاً ليس حركة الارتداد الحسية بالهزيمة في المعركة، ولكن حركة الارتداد النفسية التي صاحبتها، حينما هتف الهاتف أن محمدا ﷺ قد قُتل، فأحس بعض المسلمين أن لا جدوى إذن من قتال المشركين، وبموت محمد ﷺ قد انتهي أمر هذا الدين، وانتهي أمر الجهاد للمشركين، فهذه الحركة النفسية يجسّمها التعبير هنا، فيصورها بحركة ارتداد على الأعقاب، كارتدادهم في المعركة على الأعقاب "[1].

ويرى أحد الباحثين "أن هذه المعركة تُدرج ضمن الكنايات التصويرية، لكنها تدل بجانب الارتداد عن الدين على الهزيمة النفسية والذعر الذي هزَّ قلوب المؤمنين في المعركة، فذكر أن الكناية تدعنا نتخيل حركة عنيفة، تتمثل في الانقلاب على الأعقاب في حركة نصف دائرية، يمينا وشمالا، فتشير إلى المعنى المكنى عنه بحيوية وتأثير، وهذا المعنى هو الحركة النفسية العنيفة في أرض المعركة التي انتابت نفوس المؤمنين وقلوبهم، فزلزلتها خوفاً وهلعاً، فانقلبوا منهزمين." [2] وصورة التشبيه أليق بالمقام ؛ لأن السياق يريد الكشف عن حقيقة ارتداد هذه الفئة عن الإيمان، من خلال رسم صورة الانقلاب على العَقِب، وهي صورة قبيحة عبّر فيها بالتشبيه، للتنفير منها ولتحقيرهم، وتشويه صورتهم.

والحركة الملحوظة في الكنايات السابقة تتسم بالقوة، وإذا كانت الحركة قوية عنيفة بعثت على معنى خاص ودلت على قيم شعورية ذات تأثير بالغ؛ إذ إن حركة الانقلاب على العقب، تتضمن هذه المعاني الشعورية التي قصدها السياق ، والتي تتناسب مع معنى الصورة الكنائية المصورة للحدث.

---

(١) ينظر : فى ظلال القرآن، أ/ سيد قطب، ٤٨٦/١، ط١٧، بيروت ، دار الشروق، ١٩٩٢م.

(٢) ينظر: الكناية فى القرآن الكريم ، د/ أحمد فتحى رمضان، رسالة دكتوراة ،/١٤٥، جامعة الموصل ، كلية الأداب ١٩٩٥م.

وقد أشار (جويو) إلى شيء من ذلك عندما بّين أن " من مزايا الحركة القوة، وهي على الجملة خفية غير منظورة، تشير إلى انتشار فعالية إرادية لا نعرفها إلا بالشعور، هكذا ترجع القوة، وهي الجمال الأول للحركات، إلى مجرد حالة نفسية مرتبطة هي نفسها بعواطف شتى."(١)

ثانيا: (تولية الأدبار)

يقول تعالى: " لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَئًا أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ " (التوبة: ٥٧)

إذ وردت الآية الكريمة في سياق الحديث عن المنافقين، والكشف عن أمانيهم الموهومة، وتظاهرهم بالشجاعة الكاذبة، فيرسم لهم السياق القرآني صورة نفسية ساخرة ، معبرا عن جبنهم الذي يسيطر على قلوبهم، في كونهم يشعرون بالمطاردة دوماً، ويعيشون في وحشة روحية ، قلقة.

فاعتمدت الصورة في النص القرآني على السخرية منهم ،بالتعبيربـ" التولية والجموح "، في قوله:" لّولّوا إليه وهم يجمحون"، متمثلة في صورة الاستعارة التصريحية التبعية حينا، وعلى الأداء المباشر حينا آخر، فالاستعارة في (يجمحون) ، والتي تشبّه "خوفهم الذي حملهم على الهروب بجموح الفرس(٢)".الذي يلوى على شيء ولا يردّه شيء عن النفور، بل يحث نفسه على السير على الرغم من كل الموانع والأسباب.

ولقد أفادت صورة الاستعارة في السياق ،التشخيص والتجسيم ، للمعنوي (الجبن مع

---

(١) ينظر: مسائل فلسفة الفن المعاصرة ، جويو جان مارى ،ترجمة : سامى الدروبى /٦٠، مصر دار الفكر العربي ، ت النشر١٩٤٨م، مطبعة الاعتماد بمصر.

(٢) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن/٢٠١، والكشاف/٤٣٨، والبلاغة فنونها وأفنانها فى علم البيان والبديع، د. فضل حسن عباس/٢٢٠.

الخوف) في صورة حسية، وهي صورة جموح الفرس، التي صورها السياق.

يقول ابن عاشور: "والجموح حقيقته: النفور، واستعمل هنا تمثيلا، للسرعة مع الخوف[١]".

يقول د/ أحمد فتحي رمضان : " فإن الاستعارة لتصوير لتلك الحالة النفسية المذعورة، الخائفة التي تحس بالمطاردة تملك عليهم كل حواسهم، فيسرعون إسراعا إلى مخبأ ،يحتمون به من حصن أو مغارة ،أو نفق، فهم يتسابقون لا إلى خير أو طاعة، وإنما يتسابقون من فزعهم الداخلي ورعبهم ،لالتماس المهرب والاختفاء[٢]".

كما أنه ورد في السياق ألفاظا ساهمت في الأداء المباشر، لإظهار الصورة الساخرة التي جسّدت أنواعا من الخوف الذي يطبع على قلوب هؤلاء المنافقين مع جبنهم، وهي (ملجأ، مغارات، مدخلا) ،إذ تمثل ملاذا يبحث عنه الخائف المنهزم.

وفي التعبير بلفظ (مدّخلا) بتشديد الدال، وجرسها الثقيل ، مما يُوحي بالجُهد الذي يبذله الخائف، وهو يضم أطرافه ليقتحم المضيق بكل ما أُوتي من قوة، فالمكان الأول : بسيط يأوي إليه الخائف العادي، والمكان الثاني : أكثر قابلية على الاستخفاء، فيلجأ إليه مَنْ اشتد خوفه، وأما المكان الثالث: فيغيب الشخص عن الأنظار ويخفيه تماما عن الواجهة، وهكذا نرى التسلسل في صياغة جزئيات الصورة، والذي يكشف عن درجات من الخوف المختلفة (البسيط والمعقد ، والشديد).

وهكذا تظهر الصورة النفسية من خلال التعبير بالحركة الجسدية" التولية" ؛ لأن السياق بهذا التعبير يريد السخرية من المحاولات العجيبة المتكررة ، والحركات

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير،ابن عاشور، ٣٢١/١٠.

(٢) ينظر: الكناية فى القرآن ، د/ أحمد فتحى رمضان/٢١١.

السريعة المتلاحقة ، التي تصدر من هؤلاء المذعورين في تطلعاتهم الدائمة إلى مخبأ يستترون فيه، فيلوذون بالملجأ أولا، فإذا لم يجدوه رضوا بمغارة تكون في بطن الجبل، وإذا أخفقوا في هذه المحاولة، أسرعوا إلى الجحور الضيقة يتحصنون فيها.

قَالَ تَعَالَىٰ: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ " " وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ " (الأنفال: ١٥ - ١٦)[١]

فقد وردت الآيتين في سياق الحديث عن الفرار من المعارك ؛ إذ يصيب القوم حركة من الذعر والرهبة، عبر عنها السياق بالنهي عن تولية الأدبار الجسدية ، بصورة الكناية المصورة ،وهي تصوير حركة الفرار والرهبة، والخوف الذي يلاحق نفوسهم وهم في المعركة ؛ خوفا من الهزيمة، فنهاهم السياق عن ذلك.

إذ التعبير بقوله: (فلا تولوهم الأدبار) كناية ودلالة ، وإشارة تصويرية، للتعبيرعن صورة الفرار مع الخوف والرهبة، والفرار نشاط سلوكي يفرزه انفعال الخوف ،إذا كان حادا.

وعلماء النفس :"يرون أن الخوف يبلغ الذروة إذا ما اقترن باستجابة هروبية. "[٢] إلا أن الهرب المصوّر في النص ، ليس ركضا عاديا أو عَدوا سريعا، "وإنما هرب في غاية القبح؛ إذ فيه استهجان بالغ لصورة التولي؛ لأن الفارّ يُولّي قَفَاه، وظهره، وعقِبه، ودُبره، وكل جزء من جسمه لعدوه، لكن الكناية الساخرة وقعت على الدُبر

---

(١) التوبة (٢٥)، آل عمران (١٢١)، الأحزاب (١٥)، الفتح (٢٢)، القمر (٤٥)، الحشر (١٢).

(٢) ينظر: أسس علم النفس العام د/ طلعت منصور وآخرون/،١٥٣، مكتبة الأنجلو المصرية ،القاهرة، ومقالات فى علم النفس، محمد مصطفى الشعبينى/١٣٩، دار النهضة العربية ، القاهرة ،١٩٧٤م.

خاصة لهذا التقبيح الذي يقع في النفس ،حين ترتسم في الخيال صورة الهارب ،الذي يُولي ظهره مُظهرا دُبره لعدوه.[1]" والكناية المصوّرة في السياق عملت على تصوير نهي المؤمنين عن صورة تولي الأدبار(الفرار) ، مع خوفهم ورهبتهم ، بطريق التشخيص والتجسيم ، لزرع الطمأنينة في قلوبهم بالنصر.

ثالثا: الصدور

يقول تعالى:" فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ "
(الأنعام: ١٢٥)

إذ وردت الآية الكريمة في سياق التعبير عن صورة المؤمنين في انشراح صدورهم بهداية الإسلام لهم، لدخولهم فيه ، وما يشعرون به من طمأنينة وسكينة، وراحة في القلب ، بإيمانهم وتصديقهم القلبي ، وكذا تعبير السياق عن صورة الكافرين في إحساسهم بضعفهم وشعورهم بكربة الأنفاس؛ لضلالهم وكفرهم، فصوّر السياق صورة الثاني الذي يلهث من العناء والشقاء، وهو يتصعد في السماء، أو كالذي يكلف نفسه ما لا يطيق والصورة التشبيهية الظاهرة بأداة التشبيه (كأن)، والوصف للصدر (ضيقا حرجا)، مما يُنبئ عن صورة الضيق والمشقة في اتباع طريق الضلال والكفر؛ لذا عبر معه بالفعل (يجعل)، أما صورة انشراح الصدور بالهداية الإسلام له ،فعبرعنها بالفعلين (يهديه ،ويشرح)، والتقابل ظاهر بين مكونات الصورتين، حيث التضاد قائم بين (يهديه، يضله) ، وبين (يشرح صدره للإسلام)، و(يجعل صدره ضيقا حرجا) .وصورة التضاد ساعدت على تأكيد المعنى ، وتقريره في نفس المتلقي.

---

(١) ينظر: من أسرار التعبير القرآنى ،د/ فاضل صالح السامرائى/٦٦، كلية الآداب ،جامعة بغداد، ط٤ ،١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

ومن الملاحظ أن الصورة الثانية (الضلال والكفر) أكثر توغلا في بيان الحالة النفسية التي عليها هذا الضال؛ إذ التعبير عن ضيق صدره ، أُتبع بتشبيه (كأنما يصعد في السماء) ،وجاء التشبيه توظيفا فنيا من أجل إيضاح أكثر للبعد النفسي، فهذا يعتبر تفصيل للإجمال الذي سبق في الآية قبلها، مما يتساوق مع أجواء النص في التركيز على التواءات النفوس وانحرافتها.

يقول د/زغلول النجار: "فالتصعد إلى السماء قد يقترن بأسباب فيزيائية، تتصل بقلة الهواء في طبقات الجو العليا مما يسبب احتباس الهواء في الجهاز التنفسي، فيؤدي إلى تضييق الصدر[١]"، فالإنسان الضال يمر بتوترات نفسية، "وتمزقات داخلية نابعة من طبيعة الخلل الذي يصيب جهازه الفكري، وهو جهاز قد فطره الله على التوحيد، وحينما يتعطّل هذا الجهاز عن أداء وظيفته، فإنه يقتاد المرء لا محالة إلى التمزق والتوتر"[٢].وهو ما قدّمه النص في صورة حسية ، عندما عبّر بصورة التشبيه التمثيلي في قوله : (يجعل صدره ضيقا) من ضيق النفس، وكربة الصدر، والتعب الشديد في التصعد إلى السماء، والدلالة الصوتية لـ (يصّعد) تتآزر مع دلالة الصورة في الإيحاء بهذا الإرهاق الشديد وذلك الجهد المضنى.

رابعا: وسم الأنف

يقول تعالى: "سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ "(القلم: ١٦)

---

(١) ينظر: من آيات الإعجاز العلمى، "السماء فى القرآن الكريم"، د. زغلول النجار/٤٠٣، المكتبة الوقفية المصورة.

(٢) التفسير البنائى للقرآن، د/ محمود البستانى ، ٤٨٢/١، نشرمؤسسة الطبع الرضوية المقدسة ،ط أولى ١٤٢٢هـ- بيروت ،دار البلاغة ،١٩٩٩م.

حيث وردت الآية الكريمة في سياق الحديث عن الوليد بن المغيرة، الذي كان يكذب النبي ﷺ ، فأخبر السياق عنه أنه سوف يأتي يوم القيامة، موسوما على أنفه بالخطم، دلالة على القبح والسخرية، والتهكم .والمعنى: "أن الله يورثه عار لا يفارقه [١]"، "ويذله الإذلال كله[٢]".

ففي وصف السياق لأنف الوليد بن المغيرة ووصفه بهذا الوصف، واستعار له أنف الفيل (الخرطوم)، "استقباحا وتشنيعا ، وإشارة إلى الشر[٣]". وقد يكون ذكر الخرطوم ، أراد به الوجه كله، و المعنى: "سنسوّد وجهه يوم القيامة .[٤]"،فيكون على الكناية المصورة ، لسواد وجهه، وربما ناسب هذا المعنى استعارة الخرطوم للأنف، من حيث الطول والحجم.

واستعمال السياق للتعبير عن هذا الوسم بـ "الخرطوم" للكراهة والقبح ، بهذه الصورة الساخرة الموحية، والتي يظهر فيها الوليد بن المغيرة بأنف الفيل، وقد وُسم "ليزداد قبحا وفيه إثارة للضحك[٥]" ،والسخرية منه.

فالتعبير بوصف صورة الأنف، كناية عن المهانة والسخرية، والذل، إذ لمّا كان الوجه أشرف ما في الإنسان والأنف أكرم ما في وجهه ، إذ جُعل مكان العِزّة والحميّة، واشتق منه " الأنفة "، ففي وصفه غاية الإذلال والاستبلاد ،إذ التعبير بالصورة فيه

---

(١) ينظر: روح المعانى ، / محمود الألوسى، ٢٣/٢١، نشر دار إحياء التراث العربى ،بيروت.

(٢) ينظر: تفسير النسفى ،أبو البركات حافظ الدين النسفى، ٣٧٧/٣ ، نشر دار الكلم الطيب، بيروت ،ط أولى ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

(٣) ينظر :التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور،٢٢٨/١٤.

(٤) ينظر :التصوير البيانى دراسة تحليلية لمسائل علم البيان ،د/ محمد أبو موسى/٢٩، نشر مكتبة وهبة القاهرة ،ط ثالثة، ١٤١٣ هـ -١٩٩٣م.

(٥) ينظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ٢٢٨/١٤.

تشبيه لصاحبها، بالحيوان الذي لا يملك الدفع في وسم أنفه هكذا. ولقد أفادت الكناية المصورة لمعنى التشخيص والتجسيم، لصورة القبح والسخرية التي لحقت صاحبها.

ومن الملاحظ أن هذه الآية هي الموضع المتفرد في سياق النص القرآني ، والتي استخدم فيها اسما لعضو من أعضاء الحيوان وأطلقه على الوليد بن المغيرة ؛ تهكما منه ، واستهزاءً به.

خامسا: "الأجسام "

يقول تعالى:"وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ "(المنافقون: ٤)

حيث وردت الآية الكريمة في سياق حديث الله عز وجل مع نبيه محمد ﷺ وإخباره بأن المنافقين سيعجبونك يا محمد في صورهم و حسن مرآهم؛ إذ هم يظهرون أمامه بحسن منظرهم وفطانة عقولهم، فهم كثيروالعلم ، والسامع يحب أن يستمع لقولهم، ولكنهم ليسوا كذلك في واقع الأمر، بل هم مثل الخُشب، فتعبير السياق بتصوير وتشبيه صورهم ، وحسن هيئتهم مع عدم نفعهم في عدم استجابتهم للإيمان والهداية ،فشبههم بالخُشب المسندة .

فهذا التصوير الذي رسمه السياق من خلال صورة التشبيه التمثيلي ، معبرا عن صورة أجساد المنافقين، وهم في مجالس رسول الله ﷺ وهم أصحاب الفهم والرزانة، والعقل، إذ يراهم الناس على صورتهم الظاهرة أمامهم، ولكن مخبرهم ليس كظاهرهم.

قال الرازي: "والمراد به: ما هو معروف شُبهوا في جلوسهم في مجالس رسول الله ﷺ مستندين فيها ، وما هم إلا أجرام خالية عن الإيمان والخير، بخُشب مسندة إلى الحائط في كونهم أشباحاً خالية عن الفائدة؛ لأن الخُشب تكون مسندة إذا لم تكن في

بناء أو دعامة لشيء آخر."[١] وفي التشبيه تصوير لعدم الفائدة منهم ، وعدم رجاء النفع بالإيمان.

أ- وفي التشبيه بالخُشب إشارة إلى أنهم ليسوا في شيء من التعقل والفهم ؛لأن" الخُشب لا تعقل ولا تفهم، فكذلك هؤلاء المنافقين بمنزلة الخُشب. " [٢]

ب- وتقييدهم بصفة الإسناد إلى شيء آخر، مما يشير إلى أنهم "أشباح خالية عن الإيمان ؛لأن الخُشب تكون نافعة ومرجوة لدى الناس ، ولكنها إذا أُسندت إلى شيء آخر، ظهر أنها غير نافعة للغير في البناء أو دعامة لشيء آخر ، بل هي تحتاج الدعامة والإسناد بنفسها ."[٣]

ج- وإذا كان المراد بالخُشب الأصنام المنحوتة، كما ذكر العلامة الألوسي ، فقال: "ويجوز: أن يراد بالخُشب المسندة :الأصنام المنحوتة من الخشب المسندة إلى الحيطان ، شُبهوا بها في حسن صورهم وقلة جدواهم .([٤])" وهذا مما يلائم السياق أنه أراد بالخُشب الأصنام المنحوتة المسندة للحيطان في عدم نفعها.

سادسا: النأي بالجانب

يقول تعالى:" وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسٗا "(الإسراء: ٨٣)

إذ وصف السياق القرآني إعراض ونفور الإنسان عند إصابة النعمة له، فينسى ذكره

(١) ينظر: مفاتيح الغيب ، الرازى ، ٣٥٧/١٥.

(٢) نفسه ، ٣٥٧/١٥.

(٣) ينظر: روح المعانى ، الألوسى/ ٢١، ٢٣.

(٤) نفسه، ٢٣/٢١.

ربه وينسى شكره تعالى عليها، فيُعرض وينأى بجانبه، وفي التعبير بـ "الإعراض والنأي بالجانب" كناية ودلالة ،إشارة لتصوير الإعراض عن الإحساس بنعم الله عز وجل على الإنسان، فصوّر المعنوي (نفوره وإعراضه) عن شكر المُنعم، بصورة حسية (النأي بالجانب) ،من خلال التصوير بالكناية المصوّرة ، كما أفاد التشخيص والتجسيم بالوصف.

سابعا : الأذن

قَالَ تَعَالَىٰ:" وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ" (التوبة :٦١)

إذ عبر السياق بقوله: (هو أذن)،(قل أذن خير لكم) بصورة المجاز المرسل ،لعلاقة الآلية ،لأن الأذن هي آلة السماع، يقول البقاعي: " أخبر السياق بصنف كان يؤذيالنبي – ﷺ بما يجعله نقصا في صفات الرسول، فيلزم الطعن في علم مرسله وحكمته، فقال: "ومنهم الذين يؤذون النبي "أي: الذي أعلى مقداره ، فهو ينبئه بما يريد – سبحانه من خفايا الأسرار، ولمّا أخبره بمطلق الأذى الشامل القول والفعل ،عطف عليه قوله : (ويقولون هو)أي: من فرط سماعه لِما يقال له (أذن)، ومرادهم: أنه يصدق كل ما يسمع ويقبل قول كل أحد، كما سُمى الجاسوس....[1]

وفي وصف السياق لأذن وسماع النبي –ﷺبالخيرية ،تنبيها على أنه يسمع ما يكون في

(١) نظم الدرر، البقاعي م٢٢ ،ج٣ ، ٣٣٨، ت: عبد الرازاق غالب المهدى، طدار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان،طأولى،١٤١٥هـ –١٩٩٥م.

مصالحهم ، فالتصوير بالمجاز أفاد تنزيه وتشريف مقامه، لذا وصف السياق "الأذن" بالخير لهم، إذ لمّا كان المراد من التعبيربـ" الأذن" سماعه لمِا يهمه أمورهم ،عبّر عنه بالآلة، للتشخيص والتجسيم.

قَالَ تَعَالَىٰ:" وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ "(لقمان : ٧)يقول البقاعي :" لمّا كان حديث السياق عن فئة من الناس هم في أدنى رتبة الإحساس ،لم يصلوا إلى رتبة الإيمان ، وهم الذين يقطعون أنفسهم عن كل خير ، فهم غير مهتدين ، دلّل – سبحانه على أن هذا الإنسان المنهمك في أسباب الخسران ،لا يزداد على مر الزمان إلا مفاجأة ، لكل مايرد عليه من البيان بالبغي والطغيان؛ لذا عبّر عنه السياق أنه (ولّى) بعد السماع ،مطلق التولي، أو مدبرا(مستكبرا)."([1])

فتعبير السياق بقوله : (كأن لم يسمعها)على التمثيل لهذه الحالة ، مشبها حال هذا الضال الشقي كأن حاله عند سماعه وبعده ، كما كان من قبل ، فيه تشبيه له بحال المتكبر، وعبّر بأداة التشبيه (كأن) التي هي أقوى دلالة على صورة المشبه به أي :" مشبها حاله بعد السماع بحاله حين لم يسمعها ، فدلّ بذلك على حالة الكِبر، لأنه شبّه حاله مع السماع بحاله مع عدم السماع، وقد بيّن أن حاله مع السماع الاستكبار،فكان حاله قبل السماع كذلك."([2])

وفي تكرار أداة التشبيه (كأن) من غير عطف ، **يقول البقاعي:** " إذ لمّا كان من لم يسمع الشيء قد يكون قابلا للسمع، فبيّن أن حال هذا كما كان مساويا قبل التلاوة ،فهو مساو لمِا بعدها؛ لأن سمعه مشابه لمن به صمم، وحرف الظرفية ولفظ (

---

(١) نظم الدرر ، البقاعي ، ج٦ / ٨ بتصرف .

(٢) نفسه ، ج٦ /٨ بتصرف .

أذنيه) دلالة على إصابة الأذن بمرضها (الصمم)، وعبّر بقوله :(وقرا) أي: صمما يستوى معه تكليم غيره له وسكوته ، فلذلك تسبب ذلك في استحقاقه عقاب مستمر أليم ."([1])

فتعبير السياق بلفظ (أذنيه) وتكراره لأداة التشبيه، والنفي بعدم سماعه ،ثم التأكيد بوصف الضال بأن في أذنيه وقرا، وارد على التشبيه الحاصل، مما يفيد تمثيل هيئة المُضل بهيئة من أصابه صمما، فهو تقرير وتأكيد لصورة استواء معه تكليم غيره أو عدم تكليمه ، ولقد أفاد التشبيه رسم صورة ضلاله وشقوته وعدم هدايته، لأنه هو الذي جلبها لنفسه، باتخاذه آيات الله هزوا.

ثامنا :الرقاب

قَالَ تَعَالَىٰ:" إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ "(التوبة :٦٠)

إذ عبر السياق بقوله: (وفي الرقاب) ضمن الحديث عن المستحقين للصدقة ، مجاز مرسل، لعلاقة السببية؛ لأن استحقاقهم للصدقة بسبب فك رقابهم وإعتاقهم ،وعبر بالرقبة؛ لأن بها المواجهة.

يقول البقاعي:" قوله : (وفي الرقاب) لمّا فرغ من الأصناف الأربعة الذين يعطون الصدقة في أيديهم يتصرفون فيها كيف شاءوا ، كما دلّ عليه التعبير باللام (للفقراء، والمساكين، والعاملين عليها، والمؤلفة قلوبهم)، ذكر الذين يعطون الصدقة لقضاء

(١) نفسه ، ج ٦/ ٨ بتصرف.

ما بهم ،كما دلّ عليه التعبير بـ (في)، فقال: (وفي الرقاب)أي: المكاتبين بسبب فك رقابهم من الرق." (١)

قَالَ تَعَالَىٰ:" لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ"(البقرة :١٧٧)

ف فقوله: (وفي الرقاب) عبر بالرقبة ،مجاز مرسل ،علاقته الجزئية، أطلق الجزء وأراد الكل ،مُرادا به (العبد الأسير) للمبالغة والايجاز، **يقول البقاعي:**" الرقاب : جمع رقبة، وهو ما ناله الرق من بنى آدم ، فالمراد: الرقاب المسترقة التي يُرام فكها بالكتابة، وفك الأسرى منه."(٢) والمجاز أفاد العموم والشمول.

قَالَ تَعَالَىٰ:" وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا"(النساء :٩٢)

---

(١) نظم الدرر، البقاعى، م١٨ ، ج٣ /٣٣٧.

(٢) نفسه ، م ١ ، ج١ /٣٢٤.

إذ ذكر السياق (رقبة) ثلاث مرات، ووصفها بـ (مؤمنة) في سياق الحديث عن دية القتيل، مجاز مرسل، من إطلاق الجزء وإرادة الكل (العبد)، للتصوير المجازي، الذي أفاد الشمول والعموم.

يقول البقاعي :" رقبة أي : نفس ،عبّر بها؛ لأنها لا تعيش بدونها كاملة الرق، (مؤمنة): سليمة عمّا يُخل بالعمل ،والسياق للتغليظ ."(١)

وقوله: (رقبة مؤمنة)الثاني عبّر به " إشارة إلى التحري في جودة إسلامها." (٢)

وقوله: (رقبة مؤمنة) الثالث عبّر به " لتأكيد أمر التحرير بكونه ختاما كما كان افتتاحا، حثا على الوفاء به؛ لأنه أمانة لا طالب له إلا الله، ... وإن سر ذلك إيجابه في المؤمن أولى من الدية."(٣) فالتصوير بالمجاز أفاد التشخيص والتجسيم ، لصورة العبد الأسيرالمطلوب في دية القتل ، وتكرار لفظ (رقبة) للتغليظ.

قَالَ تَعَالَىٰ: " لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ أَوۡ كِسۡوَتُهُمۡ أَوۡ تَحۡرِيرُ رَقَبَةٖۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيۡمَٰنِكُمۡ إِذَا حَلَفۡتُمۡۚ وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ " (المائدة : ٨٩)

فقوله : (أو تحرير رقبة) عبر بالرقبة منسوبا لها التحرير، مجاز مرسل، علاقته المسببية، فتحرير الرقبة مسبب عن المؤاخذة باللغو في الأيمان والحلف.

---

(١) نفسه ، م ٢ ، ج٢ /٢٩٧.

(٢) نفسه ،م٢ ،ج٢/ ٢٩٧.

(٣) نفسه ، م٢ ، ج٢ /٢٩٧، ٢٩٨.

يقول البقاعي :" إذ لمّا أثبت المؤاخذة سبّب عنها (أو تحرير رقبة) ،إذ التحرير أي: إعتاق رقبة ، ومؤمنة أي: سليمة عمّا يُخل بالعمل كما تقدم في كفارة القتل – حملا لمطلق الكفارات على ذلك المقيد."([1])

فالقول بتعبير السياق بالرقبة مرادا به إعتاق العبد كله، عبّر بالجزء على المجاز المرسل، لأن الرقبة جزء لا يتجزأ من الجسد كله، والإتيان بالخاص يستلزم الإتيان بالعام ، فالإطعام أو الكسوة ،أو التحرير للعبد بعينه.

تاسعا: الناصية

قَالَ تَعَالَىٰ:" إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ "(هود :٥٦)

عبّر السياق بـ " الناصية" مُرادا بها شعر مقدم الرأس ، مما يدل على قدرته – تعالى في الأخذ ، وعبّر بالناصية مجاز مرسل ، علاقته الجزئية ؛ إذ فيه إهانة له أن يُؤخذ من أعلى مقدم رأسه ، فأخذه تعالى له أخذ قهر وغلبة ، **يقول البقاعي** : " (إلا هو آخذ بناصيتها) ، أي : قادر عليها ، وقد صار الأخذ بالناصية عُرفا في القدرة ، لأن الكل جارون مع مراده لا مرادهم، بل لا ينفك أحد عن كراهة لبعض ما هو فيه، فدلّ ذلك قطعا على أنه بغير مراده ، وإنما هو قاهر قهره على ذلك ... ، ومن أخذ بناصيته، فقد انقاد لأخذه لا يستطيع ميلا."([2])

ومن الناحية العلمية :" والناصية من التعبيرات القرآنية التي يدور معناها في معنيين أساسيين (ملموس وروحي) ،الملموس هو مقدمة الرأس أو الشعر الذي ينمو في مقدمة الرأس، و (الروحي) هو: المكانة والهيبة والشرف. فالناصية لها أهمية

---

(١) نظم الدرر ، البقاعي ، م٢ ، ج٢ /٥٣٤.

(٢) نفسه ،م ٥ ، ج٣ ،٥٤٤.

كبيرة؛ لأنها مسئولة عن التفكير والإرادة، وتضمن تحتها الخلايا الحية للعاقل التي تهدي الإنسان وتغيّر إرادته التي ينطلق منها الخير والشر، والصدق والكذب، والظلم والعدالة ،إذن من لديه ناصية نحو الخير والعدل، ستكون ناصيته الخير، ومن لديه ناصية نحو الشر والظلم ،والكذب، سيكون نذير الشر، لذا سمّى الله –تعالى ناصية أبى جهل كاذبة وخاطئة ."(١) حيث قَالَ تَعَالَىٰ: "نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ "(العلق :١٦)

عاشرا: البطون

قَالَ تَعَالَىٰ:" إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ " (البقرة ١٧٤)

إذ عبر السياق بقوله:(ما يأكلون في بطونهم إلا النار) كناية عن الإفساد لتشخيص وتجسيم الإفساد، بأنه مما يُؤكل وأشار إليه باسم الإشارة للبعيد ، لتحقيره والتنفير منه ، وكذلك القصر بالنفي والاستثناء للتخصيص، دلالة على أنه مما يخص ويقصر على أن ما يأكلونه في بطونهم نارا ،لذا عطف عليه بعده عدم تكليم الله لهم يوم القيامة، وعدم تزكيتهم، كما خصهم بعذاب أليم .

يقول البقاعي:" ولمّا كان الأكل يطلق على مجرد الإفساد حقّق معناه بقوله:(في بطونهم) ، جمع بطن وهو فضاء جوف الشيء ،لغيبته عن ظاهره الذي هو ظهر ذلك

---

(١) ينظر: منشور مجلة مداد – كلية الآداب عدد ٢٩– مجلد ١٢– ٢٠٢٢م–د/ عبد الفتاح حسين سليمان ،د/ محمد حسين عبد الله البنجوينى –جامعة السليمانية – كلية العلوم الإسلامية.

البطن... ،وفي ذكره بصيغة الحصر نفي للتأويل المتأول ، بكونه سببا وصرفا له إلى وجه التحقيق، الذي يناله الكشف ويقصر عنه الحس."([1])

الحادى عشر: (الأفواه والقلوب)

قَالَ تَعَالَىٰ: "كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ " (التوبة :٨)

عبّر بالأفواه في قوله :(بأفواههم) لأنها السبب الرئيسي والآلة ،للتعبير عمّا في القلوب ، مجازمرسل، .**يقول البقاعي:** " قال معللا لِما مضى مجيبا لمن استبعده (يرضونكم) ،وعبّر بأقصى ما يمكن الكلام به من القلوب تحقيقا ؛ لأنهم ليس في قلوبهم شيء منه ،فقال : (بأفواههم) أي: بذلك التأكيد ،وصرّح بالمقصود بقوله: (تأبى قلوبهم) أي: العمل

بما أبدته ألسنتهم ." ([2])

فتعبير السياق بالأفواه ؛ لأنها لسان القلوب ، إذ تعبر عمّا تكنه قلوبهم، مجاز مرسل ،علاقته الآلية، لتصوير المعنوي بصورة حسية ، إذ تخرج الكلمات من الأفواه والألسنة ، بدليل أنه عبّر بعدها بأنهم راسخو الأقدام في الفسق في قوله: (وأكثرهم فاسقون) لمخالفة الفعل القول.

قَالَ تَعَالَىٰ: " يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ"(التوبة :٣٢)

---

(١) نظم الدرر ، البقاعي ، م ١، ج١/٣٢٠.

(٢) نفسه ،م١٨ ،ج١٣/٢٧٣.

عبر السياق بالأفواه في قوله : (أن يطفئوا نور الله بأفواههم) على التمثيل ، للتحقير من شأنهم. **يقول البقاعي**:" لمّا كان الحديث عن أخذ الجزية من المجوس ،لأن النبي –ﷺ – أخذها من مجوس هجر،فعبر (ذلك) – في الآية قبلها أي : العقول المكذبة للنقول ،وهو أن المسيح بن الله، كما قالت النصارى، أي :قالوا منهم إفكا وعدوانا ، فعبّر بقوله: (قولهم بأفواههم)أي: حقيقة لم يحتشموا من قولهم مع سخافته، وهو مع ذلك قول لا تجاوز حقيقته الأفواه إلى العقول ،لأنه لا يتصوره عاقل، ومعناه: الحال أن قائله لا عقل له ،ولبعده عن أن يكون مقصود العاقل ،عبّر فيه بالأفواه التي هي أبعد من الألسنة إلى القلوب."(١)

ويقول أيضا :" ولمّا حقّر شأنهم ، هدمه بالكلية بقوله: (بأفواههم)أي: بقول خال عن شيء يثبته أو يمضيه ،أو ينفذه، وفي تسمية دينه نورا ، ومعاندتهم إطفاءه بالأفواه تمثيل، لحالهم بحال من يُطفيء نور الشمس بنفخة."(٢)

فالتعبير بالأفواه في سياق الحديث عن قولهم الخالي من الصدق ،للتمثيل الحاصل لتقرير وتأكيد كذبهم بأن ما قالوه ما هو إلا مجرد قول بالأفواه ؛تحقيرا لهم وتنفيرا منهم.

الثاني عشر:(الجباه والظهور، والجنوب)

قَالَ تَعَالَىٰ:" يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ" (التوبة :٣٥)

حيث عبر السياق بقوله :(جباههم ، وجنوبهم ، وظهورهم) في مقام التحقير، لشأن الأحبار والرهبان؛ لأن العذاب الذي هو لهم بكىّ جباههم وجنوبهم، وظهورهم،

---

(١) نظم الدرر ، البقاعي ، م١٨ ،ج١٣/٣٠٠،٣٠١.

(٢) نفسه ،م١٨،ج١٣/٣٠٤.

قد حصل لهم بسبب ما ارتكبوه من أكل أموال الناس بالباطل وما كانوا يكنزونه من الذهب والفضة ، فالتعبير بأعضاء الجسد الثلاثة ،فيه إهانة وتحقير لهم؛ لأن السياق أخبر بأنه يحصل الإحماء لها، فتسبب ذلك في تذوقهم للعذاب. **يقول البقاعي :"** إشارة من الله تعالى إلى تحقير الأحبار والرهبان ، الذين يفعلون ما ينافي مقامهم من أكلهم أموال الناس بالباطل ، بأخذها بالرشى وأنواع التصيد.....، ولمّا كان السياق دالّا دلالة واضحة على أن هذا العذاب يحصل لهم ويقع بهم ، فنصب بذلك قوله: (يوم يحمى) أي : يحصل الإحماء وهو الإيقاد الشديد (عليها)، الأموال التي جمعوها(في نار جهنم) ،(فتكوى بها) أي: بهذه الأموال (جباههم)، التي هي أشرف أعضائهم ، لأنها مجمع الوجوه والرؤوس ، وموضع الجاه الذي يجمع المال ، لأجل تعبيسهم بها في وجوه الفقراء ، (وجنوبهم) التي يحوونه لملئها بالمآكل المشتهاة والمشارب المستلذة ، ولازورارهم بها عن الفقراء،(وظهورهم) التي يحوونه ،لتقويتها ،وتحميلها بالملابس وتجليتها ولتوليتهم إياها إذا اجتمعوا مع الفقراء في مكان."([1])

فتعبير السياق بأعضاء الجسد الثلاثة المذكورة مجاز مرسل ،علاقته المسببية، إذ تعذيبهم بكيّها ، مسبب لِما ارتكبوه بجباههم وجنوبهم ، وظهورهم من التمتع الزائل، تحقيرا لهم وتنفيرا منهم.

(١) نفسه ،م١٨، ج٣٠٦/١٣

الخاتمة

بعد هذه الرحلة في نطاق هذا البحث المتواضع، ودراستي فيه لبعض الآيات التي ذكر فيها أعضاء الجسد ودلالتها في تعبير السياق بصورة تشخيصية، تصويرية ، وما ظهر لنا فيها من تعبير بأسلوب دقيق وصورة بليغة، مُعبّرة عن المعنى المقصود، بالتصوير البياني وألوانه المختلفة، والتي تضمنها السياق ، فظهر لنا **بعض النتائج**. وهي كالتالي:

١ – هدف السياق القرآني لاستخدام وسائل جديدة ومتنوعة، من شأنها أن تثري السياق بأساليب تهدف إلى إيصال المعنى لذهن المتلقي، مستخدما فيها ألفاظا وعبارات إيحائية، تحمل معانى كثيرة بدلالة الإيحاء والإشارة، والدلالة التعبيرية التصويرية ، مستخدما فيها التعبير بـ "أعضاء الجسد" المختلفة، كما ظهر بالبحث.

٢ – كان لاستخدام السياق القرآني في إيصاله للمعنى المقصود، عن طريق دلالة أو إشارة، لعضو من أعضاء الجسد سِمت معين مما كان له أثر بالغ يتعلق بدلالة المعنى والسياق ، والمشهد الذي ورد فيه، فكان له أثر قوي وبالغ، في تأكيد الصورة المرتبطة بالمعنى بصورة التشخيص والتجسيم من خلال صورة (الاستعارة والكناية ،والمجاز المرسل)، من أجل إيصال الهدف والغرض الذي يشير إليه السياق

٣ – عبر السياق القرآني عن معان عِدة بطرق كثيرة ومختلفة ، تتسم بالإيجاز ،لإيصال المعنى لذهن المتلقي مما يُثري السياق ببلاغته ودقته، وتصويره للحدث ، كما أنه كشف عن حسن انتقاءه للتعبير باللفظ المناسب، والصورة المناسبة للحدث سواء أكان بصورة التشبيه، أو الاستعارة، أو الكناية، في السياق الذي ورد فيه.

٤ – هدف أسلوب السياق القرآني لاستخدام أساليب تتسم بالدقة في التعبير عن المعنى المقصود، بطرق محسوسة للإشارة إلى دلالات محسوسة، كدلالة التعبير بأعضاء الجسد، وهو ما يسمى بالتواصل "غير اللفظي" أو "الإشارة والإيحاء" ، وذلك

أدعى لرسم الصورة في ذهن المتلقي بهذا التأكيد والتحقيق.

٥ – إن التعبير بـ "دلالات أعضاء الجسد " في السياق القرآني بصورة المجاز المرسل ، وعلاقاته المختلفة أحدث ملمحا مقصودا، في إيصال المعنى المراد للمتلقي بصورة حسية ، متحركة، مشاهدة؛ ليكون ذلك أكثر تأثيرا في نفس وعقل المخاطب ، فيحدث التأثير المنشود والاقناع المطلوب.

٦ – كان لاستخدام دلالة التعبير بـ "أعضاء الجسد" في السياق القرآني بطريق الكناية أو الاستعارة، تكوين جمالي ودلالي مثير؛ إذ رسم المشهد النفسي ببراعة ودقة تصوير، وبلاغة أسلوب، مما يسترعي انتباه المتلقي ويلفت أنظاره، فيدعوه إلى التفكر، وأخذ العبرة ، والعظة.

٧ – ظهر تعبير السياق القرآني للمعاني الغزيرة بألوان التصوير البياني بفنونه المختلفة، في قالب ألفاظ قليلة (الإيجاز) مما يبعث على التفكر، والتدبر، في اللذة باكتشاف الحقائق، كما تزداد اللذة في التعبير بصورة التشبيه التمثيلي في تقديمه للمعنى في صورة هيئة مرسومة للمخاطب، متضمنة للتشخيص والتجسيم .

٨– عملت الصورة البيانية الواردة في نص السياق القرآني بأنواعها المتنوعة والمختلفة من "تشبيه واستعارة ، ومجاز مرسل ، وكناية" على إظهار لون من المبالغة القوية، التي تجعل الأشياء المعنوية تظهر في صورة حسية مصورة بأعضاء الجسد، لتوضيح المعاني، فتحدث اللذة في نفس السامع بالقبول والاقناع، والامتاع.

٩– حصلت صورة الكناية في ثنايا البحث على النصيب الأوفر، من الآيات التي جاء فيها دلالة التعبير بأعضاء الجسد في السياق ،وجاء التصوير فيها ، بتقديم المعاني المجردة في صورة مشاهدة، محسوسة، ومتحركة؛ إذ تجعل المخاطب يرى الصور المرسومة أمامه ، بصورة يكتنفها التشخيص، كما يقدم السياق المعاني المجردة ، مصورة بصور "الإيحاء والإشارة ، والرمز" ، فظهرت الكناية أكثر تصويرا ومبالغة من الأسلوب الصريح، مما كان له أثر في نفس السامع من تأكيد وتقرير.

المصادر والمراجع

أولا : القرآن الكريم

ثانيا: المصادر والمراجع

١- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم المسمى : (تفسير أبو السعود) ت: محمد بن محمد بن الهادى أبو السعود، نشر: دار إحياء التراث العربى بيروت.

٢ -أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تأليف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبدالقادر الشنقيطى، (ت١٣٩٣هـ)، نشر: دار الفكر للطباعة والنشر، والتوزيع، بيروت ، لبنان، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

٣ -الإعجاز العلمى في القرآن الكريم، د/محمد سامى محمد على، نشر: دمشق ، دار المحبة، ١٩٩٣م.

٤ -أنوار التنزيل وأسرار التأويل ،(تفسيرالبيضاوى) ، تأليف: ناصر الدين أبو سعيد عبدالله الشيرازى البيضاوى، ت: محمد عبدالرحمن المرعشلى، نشر: دار إحياء التراث العربى، بيروت، ط أولى، ١٤١٨هـ.

٥ -البحر المحيط، أبو حيان الأندلسى ،ت:الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ،على معوض، بيروت ، دار الكتب العلمية.

٦ -تحاليل أسلوبية،أ/ محمد الهادى الطرابلسى، دار الجنوب للنشر، تونس.

٧ -التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ط دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ١٩١٧م.

٨ -تفسيرالشعراوي (الخواطر)، م/ محمد متولى الشعراوى، (ت ١٤١٨هـ) ،مطابع أخباراليوم، المكتبة الوقفية .

٩ -تفسير القرآن الكريم (تفسير ابن كثير)، لأبى الفداء اسماعيل بن عمربن كثيرالقرشى الدمشقى، دار طيبة للنشروالتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ ، ت: سامى بن محمد سلامة.

١٠ –تفسير القرآن بالقرآن، م / أ/عبدالكريم يونس الخطيب، (ت١٣٩٠هـ)، نشر: دارالفكرالعربى القاهرة.
١١ –تفسير المنار، أ/ محمد رشيد رضا، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.
١٢– التفسيرالمنير في العقيدة والشريعة والمنهج،د/ وهبة بن مصطفي الزحيلى، نشردارالفكر المعاصر، دمشق، ط٢، ١٤١٨هـ.
١٣– التفسيرالواضح، م.أ/ الحجازى محمد محمود، نشر: دار الجيل الجديد، بيروت، ط١٠، ١٤١٣هـ.
١٤– التفسيرالوسيط للقرآن الكريم، م/ د. محمد سيد طنطاوى، نشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، ط أولى.
١٥– الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبى) ، م/ أبو عبدالله محمد بن فرج الأنصارى القرطبى، ت: أحمد البردونى، وإبراهيم أطفيش، نشر: دار الكتب المصرية، القاهرة.
١٦– روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى، م/ محمود الألوسى، نشر دار إحياء التراث العربى، بيروت.
١٧– زهرة التفاسير، م/ محمد بن أحمد بن مصطفي، دار الفكر العربى.
١٨– صفوة التفاسير، ت: محمد على الصابونى، دار الصابونى، ط ١،١٤١٠هـ ١٩٨٩م القاهرة.
١٩– فتح القدير، محمد بن على بن عبدالله الشوكانى، نشر: دارابن كثير، ودارالكلم الطيب دمشق، بيروت، ط أولى ١٤١٤هـ.
٢٠– القرآن وعلم النفس ، د/ جمال ماضى أبو العزايم ،(ندوة علم النفس والإسلام).
٢١– الكشاف عن حقائق التأويل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري، دارإحياء التراث العربى، بيروت، ت: عبدالرازق المهدى.
٢٢– لباب التأويل في معانى التنزيل ، (تفسير الخازن)، م/ علاء الدين بن عمر

الشيحى، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط أولى، ١٤١٥هـ.
٢٣ -اللباب في علوم الكتاب، م/ أبو حفص سراج الدين الدمشقى النعمانى، ت: عادل أحمد، وعلى محمد معوض، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط أولى، ١٤١٩هـ ، ١٩٩٨م.
٢٤- لطائف الإشارات (تفسيرالقشيرى) ،لأبى القاسم طلحة القشيرى ، دار الكتب العلمية، ط٢، ٢٠٠٧م.
٢٥- لغة الجسد ، آلن بيز ،" كيف تقرأ آراء الأخرين من خلال إيماءاتهم" ، ت: سمير شيخانى .
٢٦- لغة المنافقين في القرآن الكريم (دراسة تحليلية لآيات النفاق من الوجهة اللغوية والبلاغية) ، د/ عبد الفتاح لاشين ، نشر: دار الفكر العربى ، سلسلة البلاغة القرآنية ، ٢٠١٣ م .
٢٧- مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، (تفسير النسفي)، م/ أبو البركات عبدالله حافظ الدين النسفي، نشر: دار الكلم الطيب، بيروت، ط أولى، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.
٢٨- معالم التنزيل في تفسيرالقرآن ،(تفسير البغوى) ، ت: أبو محمد الحسين بن الفراء البغوى، نشر: دار إحياء التراث العربى، بيروت.
٢٩- مع الطب في القرآن الكريم ، د/ قزمورعبد الحميد دياب ، ت: د/ محمود ناظم نسيمى ، نشر: مؤسسة علوم القرآن ، دمشق ، ط ٢ ، ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م .
٣٠- مفاتيح الأغانى في القراءات والمعاني، م/ محمد بن أبى محمد بن أحمد أبو العلاء الكرمانى (ت٥٦٣هـ) ، ت: عبد الكريم مصطفي مدلج،ج١، ط ١ ، نشر دارابن حزم،١٤٠٢هـ ٢٠٠١م.
٣١- مفاتيح الغيب (التفسيرالكبير)، فخر الدين الرازى، ط دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.

٣٢- من أسرار التعبير القرآني ، (دراسة تحليلية لسورة الأحزاب) ، د/ محمد أبو موسى ، ط٢ ، ١٤١٦ هـ ١٩٩٦م ، مكتبة وهبة.
٣٣- من بلاغة القرآن، أحمد البيلى البدوى، نشر : نهضة مصر، القاهرة، ٢٠٠٥م.
٣٤- المهذب في علم أصول الفقه المقارن، (تحرير لمسائله ودراستها دراسة نظرية وتطبيقية) ا/ محمد عبد الكريم بن على بن محمد النملة ، ط١ ، ١٤٢٠ هـ ١٩٩٩م ، نشر: مكتبة الرشد الرياض .
٣٥- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، نشر: دار الكتاب الإسلامى، القاهرة ، وطبعة دار الكتب العلمية ،ت: عبد الرازق غالب المهدى ، بيروت ،لبنان،ط أولى – ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.
٣٦- النكت والعيون ، (تفسير الماوردى) م/ أبو الحسن على البصرى، ت: السيد عبدالمقصود، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٣٧- وظيفة الصورة الفنية في القرآن، م.أ/ عبدالسلام أحمد الراغب، نشر: فصلت للدراسات للترجمة والنشر، حلب، ط أولى، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.

المعاجم

١- لسان العرب ابن منظور نشر:دارصادربيروت، ط٣، ١٤١٤هـ ١٩٥٦م.

الرسائل الجامعية

١- البنى والدلالات في لغة القصص القرآني ،د/ عماد عبده يحى ، رسالة دكتوراة، جامعة الموصل، كلية الآداب،١٩٩٢م .
٢- الكناية في القرآن الكريم، د/ أحمد فتحى رمضان، رسالة دكتوراة ،جامعة الموصل ،كلية الآداب، ١٩٩٥م